البحث عن ابتسامة

مجموعة قصص

محمد المنصور الشقحاء



مطبوعات نادي الطائف الادبي - الطائف

البحث عن ابتسامة

الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

الغلاف والرسوم الداخلية للفنان : عبد الله ادريس ـ عضو النادى

عزيزى القارىء ..

منذ قام نادى الطائف الادبى وضع ضمن اهدافه الجوهرية نشر وطباعة وترجمة وتحقيق الكتب والمخطوطات سواء منها تلك التى تختص بتراث مدينته الحبيبة او تلك التى انتجها أعضاء النادى ولم يستطيعوا قبل قيام النادى نشرها .

وهذا الكتاب الذى بين يديك هو لاحد اعضاء النادى من الادباء الشباب الذين يتمتعون برؤية ادبية جديدة وثقافة عصرية جيدة وعبارة حديثة مشرقة وهو الى جانب هذا كله أحد المؤسسين للنادى ومن العاملين فيه بتحمس وفعالية ومثابرة ايمانا منه بفلسفة النادى وحبا منه للادب ولمدينته الطائف .

اننا نقدم هذه المجموعة القصصية الاولى - اليك - لسكرتير النادى ، بعد ان اوصت بطباعتها لجنة القصة بالنادى راجين ان تحوز منك الرضا ومؤملين أن تتبعها مجموعات أخرى قريبا .

وعلى الله قصد السبيل

الطائف ٢-٢-١٣٩٦ هـ

رئيس نادى الطائف الادبى
حمد الزيد

المنحوسة

وتذكرة سفر إلى القدس

وتلفت حولى . أبحث فيهم عن شىء . غير الصورة التى شدت بصرى . من أول خطوة خطوتها داخل المعسكر . وتناثرت أسئلتى على الارصفة المغبرة . تسـأل المارة عن حقيقة ماأشاهد كان يطل من عيون الجميع الجوع اللهفة .. الخشبية ومسامير الترقب تملأ الأحداق دما ..

أخذت أبحث عنهم كان كل همى أن التقى بأكبر مجموعة من الصبيان أسألهم هل يحبون الحرب وماذا يتمنى كل واحد منهم . سيفا أم بندقية . أم دبابة . أم ورده وقلما وقرطاسا .. ؟

أخذ أحدهم يبكى وهو يستمع كلماتى . سألته العجوز الواقفة ..

ــ لماذا .. ؟

ــ ألا تعلمين .. ان الطائرات كانت هنا .. ولم يبقى من أسرته أحد ..

ــ الطائرات كانت هنا .. ؟

ــ أجل أنت لست صحفية كيف نحن سكان الخيام المحتاجين لقطعة رغيف . نعلم وأنت لا تدرين . رغم وجود الراديو معك وباستطاعتك اقتناء الصحف والمجلات ..

ــ آسفه يا سيدتى ...

ــ وماذا يفيد الاسف . انت آسفة لانك لا تهتمين بالاخرين لكن ماذا يجرى مع الاخرين أولئك الذين لا هم لهم سوى ابادتنا نحن . هربت وحيده طوحتنى الهواء أخذ يدفعنى هنا وهناك حتى وصلت الى الجسر .. كنت أتلفت حولى أبحث عن رفيق أومؤنس للطريق لانى أخشى غدر شيخوختى كان الجميع هناك .. ينتظرون .. يمضغون اللبان .. ويتعارفون رغم ان فوهات البنادق مصوبة الى صدورهم وببسمة الاطفال

المتعلقين بأكتاف آبائهم وأمهاتهم حاولت أن أبكي • ولكن دموعي التي شاركتني الطريق استعصت على هذه المرة لا أدرى لمـــاذا •• ؟ لكن عرفت أخيرا انها الكبرياء •• كنت أتحدى تلك البنادق والفوهات المصـــوبة • تلك الاحذية القذرة • التي تتحكم في مصير هذا الكوم من البشر الفارين من ديارهم • كلنا نبحث عن خيمة • وسعيد الحظ من كان أحد أفراد أسرته يعمـــل في الكويت أو السعودية أو ليبيا أو حتى في البرازيل •••

وانسحبت العجوز قبل أن أعرف شيئا عن الطفل الباكي وأخذت اتأمل قصتها • مصيرها انها وحيـــدة وهذا الطفل وحيـــد وتخلصت من المتكومين حولي وأخذت أسير على غير هـــــدى أتحـــدث مع نفسي • نسيت الكمرا والفلم والاوراق •• أصـــــبح رأسي مسجلا يسجل كل شيء حتى صراخ الاطفـــال ••• حديث السـيدات على الارصـــــفة ومن النوافذ المهترئة • والرجال المتكومين أمام الابواب حول راديو ترانزستور • الريح القاسية • البرد القارس •••

كنت أحاول شيئا لم أستطع حتى هذه اللحظة معرفته وفجـــــأة قفزت الصورة أمام ناظري • كانت العجوز تتكلم مع الصبي أمام صنبور المـــاء وهي تغسل وجهه وتقبـــل جبينه ثم تشده من يده وتواصل طريقها جاذبة الجمع المتكوم حول صنبور الماء ••كان الخرير الناعس يفرض هيبته على الموقف •••

ــ انها منحوسة •••

ــ من •• ؟

ــ هذه العجوز • ان نحســـــها سوف يلاحق الصـــبي كل المجموعة التي حضرت معها ماتوا وبقيت هي • وذلك الصبي يجب انتزاعه منها قبل أن تأتي الطائرات •••

لا أدرى أي شيء هذا ولكنني وجدت هذه القصاصة أمامي فاغرة فاها تمد لي يدها لانتزاعها من على الطريق • انها صورة من الصور المفروضة على أمتنا والتي يريد العالم تكرارها ويجد العالم فيها شيئا ما لازجاء الوقت • أنتم يا شباب العالم فكاهة (•••) ؟! كانوا يتسكعون على الارصـــــفة ••

وتحت ظلال المسجد الاقصى .. وكل ما عليكم هو شراء تذكرة سفر الى القدس الى أورشليم . لمشاهدة بعلبك .. ومدائن صالح ..

فحضارة الغرب تتسكع هنا ..والمنائر لا زالت قائمة ممشوقة في عنان السماء ... بصقت العجوز بمرارة وهي تجرجر الصغير وراءها ..

— اني تعب يا جدتي .. ؟

قال ذلك وهو يرفع عينين خطف الرعب بريقهما . وهم يقول شيء ما لكنها صدمته بصمتها فلم يقل شيئا وأخذ يجرجر خطاه وراءها .

كانت الغيوم تتلبد في السماء بينما هبت نسمة تحمل رائحة الارض الطيبة . كانت خطواتهما واضحة على الارض وابتعدا رويدا رويدا وسرعان ما ابتلعهم المعسكر ...

كاظم

الأخوات الثلاث

فى عصر يوم من أيام الشتاء القارس · وقفت فتاة صغيرة أمام واجهة المكتبة الصغيرة وراحت تتفحص بعينيها الكبيرتين تلك الدفاتر والمؤلفات باهتمام زائد ·· كأنها تبحث عن شيء أو تفتش عن غرض · وفجأة انتصبت بقامتها الصغيرة واعتدلت وقد ارتسمت على محياها امارات الفرح والحبور · ثم ولجت الى داخل المكتبة تسأل عن شيء ··

– عمى هل باستطاعتى رؤية هذه القصة المعلقة هناك ومد محمد يده وتناول قصة الاخوات الثلاث ··وقدمها للفتاة التى صاحت :

– ما أجملها هل هى للبيع ياعمى ·· ؟

– أجل ·· هل أرسلك أحد لشراء هذه القصة ·· ؟

– كلا انما أشتريها لاهديها لاختى الكبيرة التى لم تعد تستطيع الذهاب معى الى المدرسة ··

– بارك الله فيك ·· !

وحلت الفتاة عقدة منديلها وأفرغت على المنضدة بضعة قروش ·· ثم قالت :

– لقد حرمت نفسى من التفسح ثلاثة أيام مع بنات جيراننا ··

وألقى عليها (محمد) نظرة حالمة متأملة ثم أخذ القصة من بين يدى الفتاة وقد أدرك انها لا تعلم ثمن القصة ··وكيف يصارحها بالحقيقة ويعلمها بأن قروشها كلها لا تكفى وان عليها أن تنتظر أيضا تسعة أيام أخرى حتى تجمع ثمن القصة · ولكن نظرة الفتاة الهادئة الوادعة أيقظت كوامن أشجانه وذكرياته وحركت فى صدره صورا تنبض بالحياة ·· وسألها :

ـ ما اسمك •• يا صغيرتى •• ؟

ـ نوره ••

ـ خـذى هديتك واحرصى أن لاتفقـــديها فى الطريق •• وانطلقت الفتاة خارجة من المكتبة بعد أن ودعت صاحبها بابتســامة حلوة تشع فرحا وابتهاجا وأتبعها بنظراته حتى إجتازت الشارع العام بينما عصفت فى نفسه أحزان فهيجت كربه يا لها من فتاة حركت فى قلبه جرحا لم يستطع الزمن وأده •••

ولكن ما أن أخذت الفتــاة تعدو قاطعة الطريق العـــام • منحرفة فى شــارع جانبى يؤدى الى دار أسرتها حتى داهمتها ســــــيارة « قلاب » مسرعة •••

منذ ذلك اليوم يتذكر ويستعيد تلك الحادثة التى أودت بوحيــــدته حصـــه • وما كان الزبائن القليلون الداخلون محله يشغلونه عن نفســه وللحظات رغم ما كان يبدو عليه من لطف وكياسة واشراق فلا يترك عمله فى المساء حتى تصدمه الحياة بفراغها ومرارتها •••

وتقدم الليل وخف اقبال الزبائن أو هو قد انعدم فتنفس الصعداء وأخذ يعد نفسه لاغلاق المكتبة •

لكن اذا بأحـدهم ينتصب أمامه شاب فى ميعة الصبا •• فنظر اليه مستفهما وخيل اليه انه قد ألف هذا الوجه أو رآه من قبل • وقبل أن يتفوه بكلمة مد يده بقصة الاخوات الثلاث ••

ـ هل هذه القصــة قصتك •• أليس كذلك •• ؟

ـ أجل •••

ـ اذن أنت تذكر لمن بعتها هذا المساء •• ؟

ـ بعتها لفتاة صغيرة •• !

ـ ألم تسرقها منك •• ؟

ـ لا •••

ـ وكم دفعت •• ؟

ـ ••••

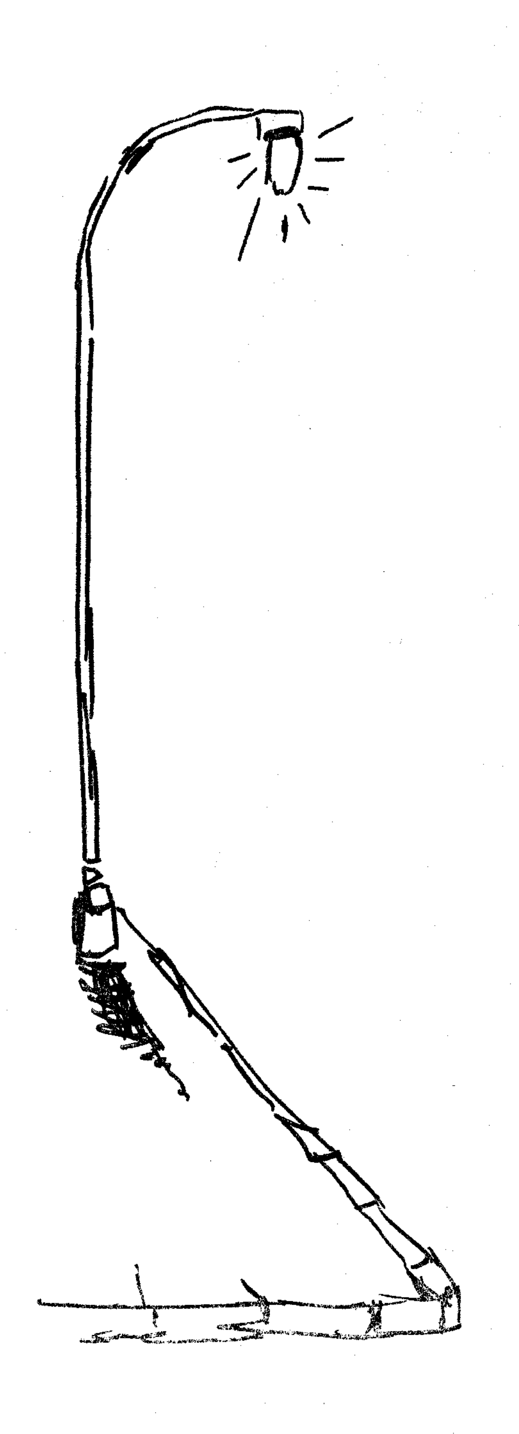
ـ نحن لم نمنحها شيئا من النقود فكيف حصلت على هذه •• ؟

ـ ولكنها دفعت كل ما تملك ••

وأمام نظرة الشاب الحائرة المتسائلة شعر بشيء من الوجل والخوف فأمسك بتلابيب الشاب وصرخ فيه ••

ـ ماذا حدث •• ؟

ـ لقد دهمتها سيارة هذا المساء•• وهى تحمل هذه القصة •• فلم يهتم بها رجال الشرطة ولكن والدتى تساءلت عندما رأتها فى يدى عن سر وجودها فأسرعت اليك •



إنه ولد

ـ أجل انه ولد ٠٠ هكذا تدل كل الظواهر ٠٠

بهذه الجملة انهت فاطمة كلامها وهى تتجادل مع « أبو محمد » الذى أصر على البقاء والتخلف عن العمل حتى يطمئن عليها ٠ بينما انزوت البنات فى ركن قصى من الدار يلعبن فى هدوء وصمت خشية اقلاق راحة والدتهم المتمددة فى الغرفة الداخلية بعد أن انهارت فجأة ٠٠٠

ـ اذا الوقت حان ٠٠ ؟

ـ لا أدرى ٠٠ ولكن أشعر بألم شديد يمزق أحشائى ٠٠٠

ـ ما رأيك لو ذهبنا الى المستشفى ٠٠ ؟

ـ لا ٠ أرجوك ٠٠٠

ـ اذن نحضر الطبيب الى هنا ٠٠ ؟

ـ لا مانع ولكن لم يحن الوقت بعد ٠٠٠

وخرج « أبو محمد » من الغرفة مما منح « فاطمة » فرصة التأمل فرفعت رأسها الى سطح الغرفة الواطىء وهمهمت ٠٠ انه ولد ٠٠ لقد كان الوحم غريبا وكذلك الحركات التى تصدر من الجنين ٠٠ أجل حتى جارتنا الشابة أكدت ذلك عندما وضعت الملح على رأسى على حين غره ٠ حقا غضبت لحظتها لكن ٠٠ كانت الفرصة أكبر مما اتصور ٠٠ وهى تؤيد أحلامى ٠ آه ٠ ومرت سحابة من الالم على وجهها ولكنها لم تحاول وأد كلمتها الاخيرة انه ولد ٠٠٠ اما « أبو محمد » فقد خرج لا يلوى على شىء محاولا حصر تفكيره فى المشكلة التى تطبق عليه بكل ثقلها ها هى «فاطمة» تتألم ٠٠ وها هو « سمير » يساومه على ابنته الكبرى « ايمان » وها هو المدير الطيب ينقل من المكتب أشياء كثيرة أخذت تنهال عليه بقسوة وقوة فوق رأس « أبو محمد » ٠ ولكنه يهمهم أخيرا ٠ انه « محمد » لقد أصبح

لدى ولد أخيرا وبعد سبع بنات ٠٠٠أجل انه « محمد » وليذهب « سمير » مع الشيطان وليطربق المدير الجديدالمكتب بحثا عن موظفه المهمل الذى يتغيب ولم يمر على استلامه العملسوى يومين وعاد « أبو محمد » الى الدار ٠٠ وقبل أن يلج الغرفة ذاتالسقفالواطىء صدمته صرخة «فاطمة» المكتومة فوقف قليلا يفكر ٠٠٠

ـ أبى ٠٠ أبى ٠٠ انها تريدك ٠٠٠

ـ من ٠٠ ؟ والدتك ٠٠ ؟

ـ أجل أرجوك بسرعة ٠٠٠

ودخل الغرفة المظلمة وأخذ طريقهالى فراش زوجته التى تكومت من شدة الالم فى ركن الغرفة ٠٠٠

ـ الحقنى ٠٠٠

ـ ودخلت جارة الغرفة مسرعة ٠٠ ولم تلاحظ « أبو محمد » المنتصب فى وسط الغرفة واحتضنت المريضةفى هدوء ٠٠٠

ـ أروح أجيب طبيب ٠٠ ؟

ـ آسفة مساء الخير ٠٠ المعذرةالعتب على النظر ٠٠٠

ـ أهلا وسهلا ٠٠ أجيب الطبيب ٠٠

ـ أنتظر ٠٠ ما رأيك يا فاطمةنروح المستشفى ٠٠ ؟

ـ لا ٠٠ لا ٠٠

ـ انه أفضل من هذا المكان ٠٠وهناك تلقين من العناية الشىء الكثير

ولم ترد فاطمة وبهتت الجارة مناصرار المريضة وتلفتت حولها تريد قول كلمة « لابى محمد » الذى اختفى٠٠ ودخل الدكتور مطأطىء الرأس وعاين فاطمة وهز رأسه وأخرج منحقيبته بعض المعدات والحقن ٠٠

ـ وما رأيك تروحى المستشفى ٠٠ ؟

ومرت موجة من الالم لم تفهم معهاما قاله الدكتور الذى سارع الى حقنها بابرة مهدئة وعاد الهدوء الى الوجه المتقلص ٠ وشعر الدكتور

بارتياح ســـاعده على معاينة المريضة,خرج من الغرفة وهو يقول :

ـ بعد لم يحن موعد الوضع ..

ـ ما العمل .. ؟

ـ بعد ست ساعات تعال لاخذى من العيادة ...

وغادر الطبيب الدار بعد أن نقده « أبو محمد » أتعابه مضاعفة . وحل الهدوء بعض الشيء على الدار . ومرت لحظات وجد فيها فرصـــــة ليعود الى أفكاره .. متأملا حال زوجته والالم الذى تعيشـــه انها ليس المرة الاولى التى تعيش فيه مثل هذه المتاعب ..ففى كل حالة وضع تقاسى ... لكن هنا فرق . لقد انتهت التسعة أشهر,ها هو الشهر العاشر ينتهى والالم يزيد والدلائل تقول انه ... وانطلقت صرخة من الغرفة الداخلية فلم يكمل بقية خواطره ... وهرول مسرعا ...

ـ الجنين . لا يتحرك ..

ـ و .. ماذا .. ؟

وخرج مهرولا يبحث عن الطبيب .. ووجده ولكنه اعتذر عن الحضور مدعيـــا ان الوقت لم يحن وان لديه بعض الاعمال . وأمام اصرار الطبيب أخذ أبو محمد يبحث فى العمارة التى يسكنها الاطباء عن آخر متخصص فى الولادة .. ووجد طبيبـــة المستشفى العام فقرع باب عيادتها ...

ـ أرجوك اسعفينا .. !

ـ أمرك .. !

ـ ان زوجتى على وشك الوضع .. !

وأخذها الى الدار رغم انها كانت تتأهب للذهاب الى المستشفى حيث حانت نوبتها فى العمــل . وعاينت المريضـــــــة وخرجت من الغرفة صامتة ...

ـ هل فى الامــــكان نقلها الى المستشفى .. ؟

ـ انها لا ترغب .. وتصر على ذلك ...

وخرجت من الدار وأبو محمد وراءها وأخذ سيارة أجرة الى المستشفى وهناك أخذت بعض الالات التى تساعدها على اجراء عملية سريعة للولادة .. وطلبت من الممرضـــة المناوبة فى المستشفى أيضا مرافقتها ...

وقف « أبو محمد » والبنات أمامالباب الخارجى مع أحد الجيران بينما دخلت الطبيبة والممرضة الى الدار ومروقت استطاع فيه اقناع جاره بأن ما ذهب اليه خطأ رغم انشغال باله بمايدور فى الداخـــل . وأطلت ابنته الكبيرة من فتحة بالباب ...

- أبى .. احضر سيارة .. الدكتورة تبغى تروح ...

ولم يقل شيئا وسارعت احدىالبنات الصغيرات الى الموقف لاحضار سيارة أجرة ووقفت الطبيبة ومساعدتها بالباب .. يتأهبن للرحيل .. وتقدم منهن ...

- مبروك الحمد لله على السلامة ...

- ولكنى لم أسمع صرخة الوليد.. ؟

- البقية فى حيـــاتك لقد نزلالولد ميتا ...

- ولد .. ؟ و ... ميت ؟!

وأسرع الى الداخل ولكن الصمتصدمه فعاد أدراجه . ووجد الطبيبة والممرضة داخل سيارة الاجرة بانتظاره ...

(نـــورة)

ظلت برهة مترددة وهى تسمع صوت والدتها من الداخل تحـــادث جدتها العجوز المتمـددة على سريرها والتى أطلقت عـــدة صرخات مملوءة بالشتائم على غنم الجيران التى ما أن لمحت البـــاب الخارجى مفتوحا حتى تراكضن فى جلبة ليرتعن فى الدار والبحث عن شىء يؤكل ٠٠ ثم وضعت يدها على رأسها وخطت خطوات حذرة وعيناها شبه مغمضتين ٠٠٠

ـ أمى ٠ أمى ٠ رأسى يوجعنى ما أقدر أروح المدرسة اليوم ٠

طفلة لم تتعد ربيعها الحادى عشر ذات وجه ملائكى أبيض مستدير أحد أسنان فكها العلوى بارز يثير خجلها عندما تهم بالابتسام تغطى فمها بيدها ـ مما جعل أفراد الاسرة ينكتون عليها وقد أخذوا من لثغتها اداة للمزح ٠٠ ! وهم يحرجونها فى شىء من الطيبة :

ـ الدفتر هذا لمين ٠٠ ؟

ـ حج (حق) حنان ٠٠

ـ أبوك فين ٠٠ ؟

ـ فى الدشان (الدكان) ٠٠ لكن والدتها لم تستمع لقولها ٠٠ اذ صرخت فيها ٠٠

ـ انتى لسه هنا ٠٠ ؟ واخوانك ٠٠ ؟

ـ راحوا ٠٠٠

ـ يالله الحقيهم ٠٠٠

ـ لكن ٠٠٠

ـ اليوم السبت وأول الاسبوع ٠٠٠

وتعدو لتلحق باخواتهـــا اللائى شكلن مجموعة كبيرة بنـــات الجيران وهى تفكر فى ماذا سوف تلاقى من « الابلة » التى طالبتهـــا بأن تغير

كراريسها والمريول البنى بآخر أزرق·لكن لم تبلغ والدتها بذلك بعد أن سمعت تهديد والدها الذى مل الطلبات بأن يمنعهم من الذهاب الى المدرسة هى وشقيقاتها الثلاث · ولحقت برفيقاتها وهى تنسى كل شيء · لتحدث بنت الجيران « فوزية » عنما أحضرت لفترة الفسحة الكبيرة من أكل وأخذ تقلب أوراق حقيبتها لقد نسيت أن تحضر وصلة التميس (الخبز) معها بينما أحضرت « فوزية » بعض قطع الجبن البلدى وحلاوة الطحينية المتبقية من عشاء الضيوف · وأخرجت نوره القروش الاربعة التى تتزود بها كل صباح من والدها وعند رأس الشارع الذى تنتصب المدرسة فى نهايته كان دخان فرن «التميس» يعانق السماء ·

مدت يدها لاخذ أحد الاقراص المرتبة بعناية فى زاوية الفرن بسرعة حتى لا تستقبلها المديرة عند الباب المغلق فليكون صيرها بعض الشوطات بالخيزرانة التى تبرع بها البواب العجوز (حسب ما تظن !!) بينما هو اشتراها لابنه الصغير حتى يقال اتبع الطريقة الحديثة فى تربية أولاده تربية المدارس ·· !؟

دخلت الفصل خلسة كأنها تحاذر أن يمسك بها أحد بينما المدرسة منهمكة عند باب الفصل تحادث زميلة وهى ممسكة بالدفاتر المصححة بطريقة تجعل البنات يحترمنها ويقلدونها فى نفس الوقت ·· واقتنعت أخيرا ·· ودخلت الفصل وانطلقت همسة مخنوقة :

ـ احترام ·· !

ووقفت طالبات الصف فى حركة منظمة ومر الدرس فى هدوء لا يعكره سوى ذلك الألم الداخلى الذى بدأت مطارقه تسلب نوره انصاتها من جراء تفكيرها لسماع كلمات « الابلة »وشرحها بينما القدر يحيك خطوط النهاية · والباب الكبير موارب والسيارات تعج بالطالبات البريئات وقد انطلقن عائدات الى المنازل وفى الجهة الجنوبية من المدرسة · كان منحنى تنزل منه السيارات الى الشارع العام الذى يشق المدينة اذ أن السيارات تأتى من الناحية الغربية للمدرسة فرارا من الزحمة لتعبر المنحنى الى الناحية الشرقية حيث الشارع العام أو الانحراف قليلا ثم تسير عبر طريق فرعى على جانبه فيلا صغيرة كانت فيما سبق مستوصفا صحيا ·

وقفت «نورة» عند ركن الفيلا مع احدى اخواتها يرقبن الباقيات وهنا انطلقت سيارة مجنونة لتطوى تحت عجلاتها احدى بنات المدرسة وعلا صراخ البراعم الفزعات وانحنت واحدة تبكى ...

ـ نوره ... نوره ...

وأخذ النفس الذاوى يهز الصدر الصغير فى رعشات وجله وزادها خفقان منبه سيارة الاسعاف التى تأخرت بعض الوقت لحمل المسكينة .. التى ما أن أغلق الباب عليها حتى لفظت أنفاسها ...



الهنديـــة

٤ شـــعبان

وجدت اليوم دافعـــا قويا لان أستعيد الذكرى التى نســيتها وأنا أطـــالع الدموع فى مقلتى جارتنا الهندية المتجهة الى الغرب تجر خلفها أطفالها الثـــلاثة بعد أن قام زوجها بضربها ..

لا أدرى السبب لكن عندما قالت شقيقاتى الصغيرات ان جارتنا المسكينة تبكى فى الشـــارع والاولاد يلتفون حولها .. سألت نفسى .. لماذا ؟

ولكن قبل النهـاية أخذت أفكر ولكن كيف ترحل ومن أين تجد قوتا لاطفالها بل الى أين تأوى والشـــتاء يطرق الابواب فى الحاح ؟ كان ذلك فى عام ١٣٧٩ هجرية بالتقريب .. وكنت لا أقيم ما حولى لولا حكايات جدتى التى افتقدها اليوم .

٢٥ جمادى ٧٩ هـ

طرقت بابنا هندية طويلة القامة تحمل على رأســـها صندوقا مليئا بزجاجات العطور تبحث عن مشترى واستقبلتها جدتى ذلك الصباح بنفس مفتوحة وتطمئن الهنـدية وتأخذ فى سرد حكايتها .. لقد وصلت الطائف مع بعض أقربائها بعد رحيل من الهند دام أكثر من سنة تضاءل اثناءه حجم الجماعة الى أقل من النصف .

وكان ذلك بقصد الحـــج وزيارة المدينة ولكن كل شىء تغير بعد الوصول ماتت والدتهـــــا ووجدت فى أسرة تشتغل عندها ما يحثها على البقـــاء وتفرقت الجماعة ولم تبق غير أسرة صغيرة مكونة من عجوز وابنها الذى أخذ يجمع الاخشاب لصنع الصناديق والطاولات الصغيرة وبيعها بمبـــالغ زهيـــدة . ولكن حدث شىء لم يكن تتوقعه .. وطردتها الاسرة التى تعمل عندها لتعود الى العجوز التى تعرفها منذ كانت هناك مترقبة شيئا عجيبا ؟ مكتفية بالتقاط قطع القماش القديمة من الشوارع وما يجود به الجيران على العجوز وعليها من ثياب بالية ممزقة لتصنع منها أكياس صغيرة لبيعها الى أصحاب الدكاكين ...

٨ شـــوال

صدرت الموافقة المرتقبة لنرحل الى الرياض لقد انتقل عمل والدى الى هناك بعد أن رفع الى درجة مفتش ٠٠ليعمـــــل بالوزارة وهناك اندمجنا بمجتمعنا الجديد مخلفين ورائنا جدتي التي رفضت مشاركتنا السفر راغبة فى البقاء مع ابنتها ـ عمتى ـ التي كانت على وشك الوضع ٠٠٠

أول محرم

الاخبار تقول : هناك أمطار جدتي تبعث لنا بتحياتها ٠ الطفل يموت بعد أن تعرض لهواء شديد ويذكرنى هذا بشيء وهو انى عندما أكون بقرب نافذة سيارتنا المنطلقة بأقصى سرعتها أشعرانى بحاجة الى من يســـعفنى وان الاختناق يشل جسمى ٠٠٠

٨ ربيع ثانى ٨٦

والدة أبى تنتقل الى رحمــة اللهوها نحن نشد الرحال الى الطائف ٠٠ كل شيء يسير حسب ترتيبه وخيطمن الذكريات يمر بخـــاطرى عن صاحباتى ٠٠ عن جيراننا ٠٠ عن المنازل الصغيرة وجدتي لا تمـل التحدث تروى لى ولاخوتى ذكريات شبابها فى القرية هناك فوق الجبل مع الاغنام والسماء الحانية التى تمد يدها لاحتضان أبناء رفيقتها الازلية ـ الارض ـ فى مسيرة دائبة لا تعرف الملل ولا تخشى النهاية المرتقبة ٠٠٠

٢٥ ربيع الثانى

أخذ الاضـــطراب يلفنا علينا أن نعود بعد أن انتهت فترة الحزن والعزاء الى الرياض وعلى أن أجـــد وأخواتى لاعوض ما فاتنا من دروس والدتى تبـــكى ولا أدرى لماذا لقد عاودتها ذكريات سحيقة مرت بها فى بداية حياتها الزوجية وجدتي تلفها بالحنان والعناية النادرين واللذين فقدتهما منذ الطفولة حيث توفيت والدتها وهى بعد لم تكمل الاربعين ٠٠٠

٢٥ رمضـــان ٨٨

وصل والدى الى التقاعد منذ أيام ومراجعاته لم تفد رغم استســـلام والدتى ومحاولتها فى اقنـــاع والدى بأن مهمته انتهت وعليه أن يفســح المجـــال أمام الاخرين وذوى الخبرة الجديدة حتى لا يكون هناك تأخير فى

المسيرة الكبرى الى الافضل ؛ ويرضى ونقرر العودة الى الطائف وها نحن نعود ما عدا أخى الذى يدرس فى الجامعة والذى قرر مشاركة بعض زملائه للقيام برحلة الى المنطقة الشرقية وبعض امارات الخليج العربى للتزود بالمعرفة والترفيه . نشاهد أثاث دارنا عن ناظرنا فى رحلة نصل نحن قبل نهايتها لنستقبله ولنعيد توزيعه فى غرف منزلنا القديم .

٧ محرم ٨٩

الصيف يقرع الابواب والاحاديث تدور حول المصطافين وأشياء أخرى وأنا أستعيد أشياء كثيرة من ذكرياتى وان نسيت الكثير لكن هناك وهنا أقابل وجوها مألوفة لا أدرى عن أصحابها شيئا انما أجد فى نفسى دافع يقول انى كنت أعرف أصحاب هذه الملامح وانى قد عشت لحظات أتفرس فيها وتتفرس بى وتضحك .. !

٥ صفر

وجدتها من بين الوجوه التى حولى . طويلة نحيلة تحمل صندوق العطور فوق رأسها لا صدر لها تمشى معتدلة القامة . ولكن وراءها ثلاثة أطفال .. انها الهندية – صاحبة جدتى – ولم تعرفنى ولكنها تعرف عمتى حيث ان منزلها لا يبعد كثيرا عن حينا . تدور باحثة عن مشتر ...

٣٠ ربيع الاول

عرفت حكاية غريبة اليوم ولكن لا أدرى ما صحتها ؟ هناك جار منزله يقابل منزلنا ومنذ أن وجدت وأنا أعرف أن لا شغل عنده ولا عمل سوى البحث عن مقاول تعهد ببناء منزل له ولكن عندما انهوا بعض مراحل الهدم اختلفوا وهنا فر المقاول ومنذ ذلك ذلك العهد الذى أجهله وهو يبحث حتى آخر الليل يقف فى الزوايا وعند الابواب ينتصب .. أتت الشرطة لاخذه بعد أن حاول ابتزاز جار له يكشف سيرة زوجته السيئة ..

أول رجب

الهندية تذكرنى .. تشدنى الى الماضى لابحث فى أحاديث من حولى عن شىء عنها ولكن لا شىء لقد تزوجت ابن العجوز ولكن ابنتها الكبيرة

مجهولة الاب رغم معرفة الجميع بأن زوجها يدعى بنوتها ولكنها لا تهتم بشيء سوى التطلع والتفرس في وجهي لعلها تبحث عن ماضـــيها العتيد وزكريات شبابها ...

١٥ رجب

حضر أخي الكبير من الرياض .. ليبقى عندنا أياما ثم يعود ووالدتي تحاول اقنـــاعه بالزواج لأنها تخشى عليه وهو وحيد من قرناء السوء ... ولكن هناك شيئا ضعيفا وجدته في حركاته عندما يشاهد الهندية وبحثت عن السبب لكن ذاكرتي لم تسعفني بشيء .. ووجدته ذات مساء يتطلع في شيء من الخوف الى الهنـــدية التي انتصبت أمامه وفي يدها ابنتها الكبرى ولم أسمع سوى اني لا أعرفك ولا أعرفك . ولكنها تصر وتجادله بصمت ثم تتفوه انها ابنتك أنت السبب في وجودها وعندما اقترب وجدها فرصة ليهرب .. ليرحل في مســـاء ذلك اليوم ...

١٧ رجب

وضحت الحقيقة عرفت اليوم من حديث دار خلسة بين عمتي والهندية بأن أخي هو الذي أغواها وهي بعد فتاة تعمل لدى أحد معارف الاسرة . كانت في المطبخ تعد بعض متطلبات الوليمة وفجأة انتصب أمامها . وبعدها لقيته كثيرا حتى انه أخذ يزورها في غفلة من الجميع .

٢ شـــعبان

الاثنين .. بنات الهندية الثلاث يحضرن كل مساء للتفرج على التلفزيون عندنا .. وأتفرس في البنت الكبيرة .. اسألها عن اسمها وعن أمها وأبيها وأنا أبحث في تقاسيم وجهها عن شيء يشبه أخي ولكنى لا أخرج بنتيجة .. فهناك عوامل شتى تتصارع في داخلي وترسم صورا قاتمة لا أدرى ما لونها عن الحيـــاة والفقر وذلك السر الذي يقف أمام الجميع وتتحطم عليه القيم الانســـانية والمثل التي لا توجد لها صورة حقيقية عند الكثيرين من ذوى المبادىء المختلفة ... وأشـــياء كثيرة نرسمها ونجهل الى أين تصل بنا ... ولكن كيف تورط أخي معها ؟ هذا مالا أعرفه .

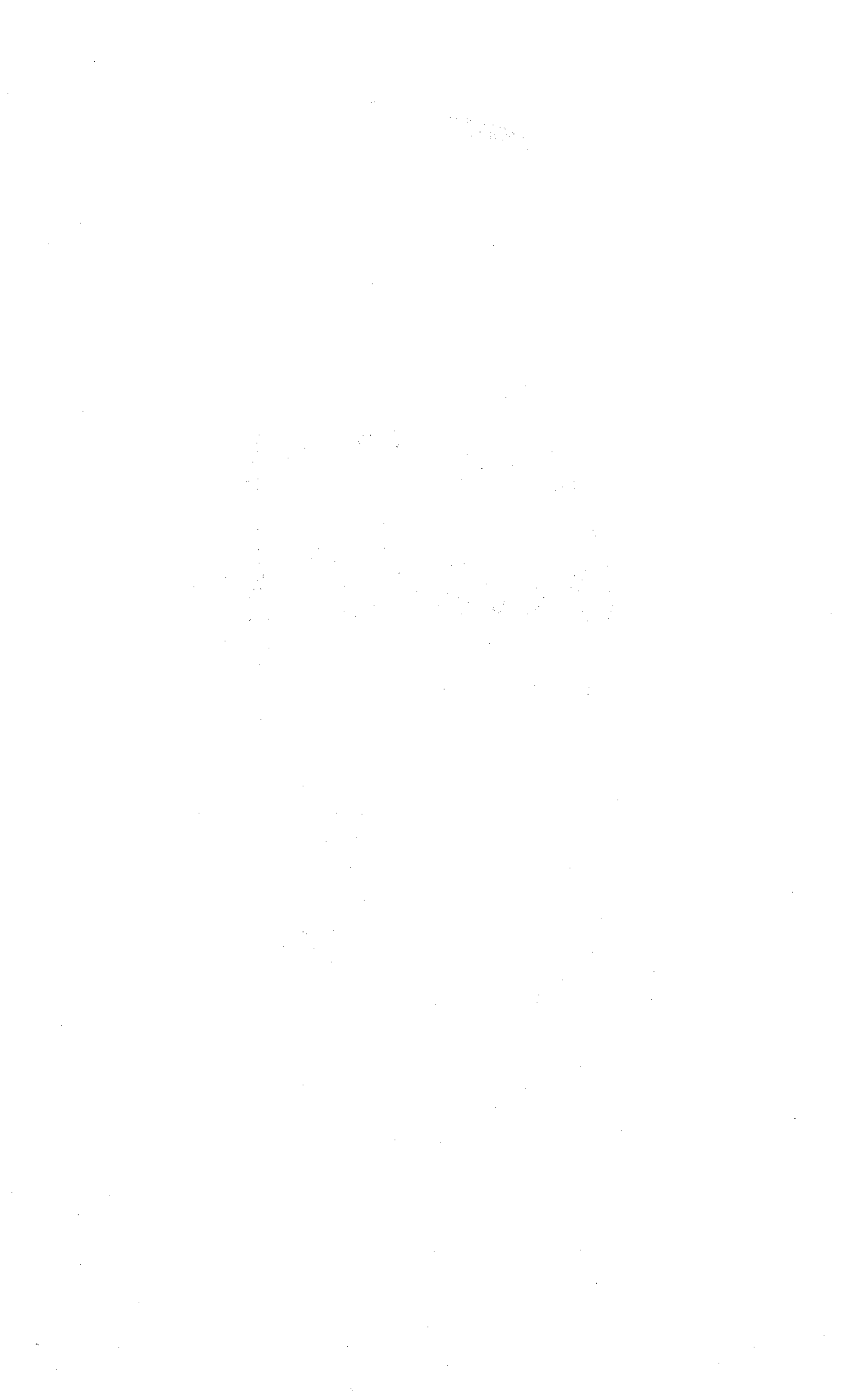
٣ شـــعبان

وصلت الى شىء من الحقيقة بعد أنضج رأسى بالافكار والتناقضـــات • كانت تحمل كل مســـاء الطعام ••للعجوز وابنها الشاب •••

كانت تنام بعض الليالى أثناء معاودة المرض لها •• ومن هنا كانت البداية •• لكنه تغير عليها ذات مساءعندما لم ترضخ لطلباته بأن تبحث عن ما هو أثمن من الطعام لدى أسيادهاووجدت فى أخى طفولة وســـذاجة تحتاج لشىء • وكانت تريد منه أنيقدم لها ثمنا لما تقـــدمه ولو كان مسروقا •• لا تشعر بالذنب ولا تجدفى ذلك العناء الكثير أو الخوف الذى قد يفضـــحها ذات مساء •• ولتقنعصديقها بالزواج بعد أن أخذت معالم الجريمة تتكون فى أحشائها •••







أوراق...

من مذكرات فتاة فلسطينية

١ ـ

وانصت . نعم اليوم اقترب والجموع تعد العدة فالدعوة مفتوحة للجميع كل شيء ممهد . وخط طويل يسيطر على الجميع المناكب تلتقى والمقل شارقة بالدموع . بالامل بالنهاية السعيدة .. كل ذلك منذ عام ...

وها هو يمر بنا عام ...

والجوع ينهش صدرى يمزق أحشائى بعد أن أعيانى الانتظار بعد أن وجدت دارنا تبتعد تسبق الشمس الغاربة يبتلعها مد البحر العاتى . فاذا بى أعود الى خيمتى وقد لفت انتباهى مجموعة من صبيان المخيم يتهامسون ثم ينطلق كل فى طريق وتبتلعهم الزوايا . وتمر دقائق واذا بحركة غريبة ومجموعة من الرجال يقتربون يحملون شيئا . كان ابن جارتنا العمياء وقد فارقته الحياة وبسمة لونها الالم فوق فمه الصغير ..

خط طويل يسيطر على الجميع . خط من الدم يقبل الثرى يشير الى دارنا القديمة الى قريتنا الخربة فى أرضنا المسلوبة ...

٢ ـ

ماذا يعنى كل هذا ؟ الطبل تقرع تصم الآذان تكون شلالا من الضجيج وأنا ما زلت واقفة أمام باب خيمتنا استجدى المارة أخى الصغير . (ضاع) كان هنا فى الصباح يلعب بدميته القديمة . يصرخ فى بائع البرتقال الفتى ...

ـ لماذا لا تنضم الى الفدائيين ..؟

لماذا .. لا تترك عربتك المتداعية هذه جانبا .. ؟ وها هو يطالعنى .. بائع البرتقال .

- أخي .. هل رأيت أخي .. ؟

وألقى الفراغ في عينيه .. لم القى غير الصمت الرهيب . لقد عاد اخـر الليل طفلا محمولا أخذه الرجال الى البعيد .. الى سفح الجبـــل الذى يحجب عنا الرياح ينتظم فى سلك الشهداء من رجال الفداء .

كان صبحى تخطى الاسلاك الشائكة فاذا بقميصه يعرقل خطاه وتخترق صدره رصاصة الغـدر والخسة والنذالة .. والاجرام .

- ٣

انه اليوم الالف بل المليـــون .. وأنه أشعر بساقى لا تطيقان حملى . امى الربو يكتم أنفاســـها .. أبى كالمجنون فى ركن خيمتنـــا يهمهم بكلمات لا تفهم .. (سماح) تبتسم للجميع انها طفلة لا تفهم . وبطاقـة المؤن الصفراء يأكل أطرافها القدم .. وهم يعصرنى ان فى احشائى جنينا .
ترى .. ؟ أيشاهد اباه .. ؟ ماذا أقول له عندما يكبر ؟ عندما يقول أين أبى ..

هل أقول استشهد على طـــريق العودة ؟ أم أقول له ذهب ولم يعد .
ولكن هناك سؤالا قد يواجهنى به .؟

أهو ذهب لحده وعندما أهز رأسى بلا ايجاب أيصـــدق ان أباه ذهب لوحده ليمهد طريق العودة .. ليصرخ فى اليهود هذه أرضى أخرجوا منهـــا أترثونى .. ؟ أتأخذون حق ابنى .. ؟ غريبة كل شىء أم تراه سوف يجف حلقه ويكتم أنفاسه انتظارى الطويل فى طابور الدقيق المسوس .. ؟

- ٤

جارتنا (سلوى) لم تعد مســاء أمس من صنبور المياه أمهـــا تبكى بحرقة وكادت تزيد الامنــا اذ همت باحراق الخيمة ولكنها لحقت بهـــا وأمسكت بيدها المرتعشة واغتصبت علبة الثقاب من بين انينها . لا حق لى فى استعمال قوتى وشبابى على امرأة شرب الدهر دموعها أكل جسمها حتى بدت الغصون ترسم ظلم القدر ..

مر يوم وسلوى ما تزال مفقــودة وأنا أشعر بوحدة .. أبى أخذ هذيانه

يزداد بل فقد احساسه فكان ينام ٠وسماح تتوسد صدره ٠٠ ماذا بقى لى غير أن الغثيان يدفعني الى القيء واحشائى تسبقنى فى كل ناحية ٠٠ الليل ساعاته طويلة ٠٠ اه ما هذاالالم ٠٠؟

٥ ـ

عدت الى رشدى طالعتنى مقلتى أبى الدامعتين وبسمة واهية ترف على حاجبيه اشعر بشيء غريب حولى ٠واذا بالصراخ يصدمنى لقد وضعت البارحة ٠٠ ولكن هذا الظل الطويل الذى ينتصب على باب خيمتنا انى أعرفه ٠ الفرحة تأخذ بمجامعى ٠٠ الدموع تسبقنى وتقدم نحوى عاقدا زنديه على صدره يحمل لفافة بيضاء كان زوجى (منصور) وبريق الفرح يطل من مقلتيه ٠٠ وتلاقت العيون فى عناق طويل ٠ قرب طفلى منى ٠٠

ـ قبلية ٠٠

انه عوده نعم سوف يكمل طريق العودة ان استشهدت اعتنى به اعديه لليوم المرتقب ٠٠ ازرعى فى صدره خنجرا يصرع الاعداء القادمين من وراء البحار النتنة ٠٠

٦ ـ

اليوم معركة من الصباح ٠الحشود على الحدود على الحدود ، الطائرات تلقى بمنشورات تدعو المواطنين الى الهدوء والتمسك بالسكينة لكن ما هى السكينة (وأى شيء بقى لنا بعد أن فقدنا بياراتنا ٠٠ دارنا المعلقة فوق الجبل الاشم ٠٠ طفلى (عوده) أخذ يبتسم لى يبحث بين الوجوه عنى ٠ لقد غابت عيناى وبرزت نواجذى لاخبر عن منصور الطلقات تحملها الرياح من وراء الجبل ٠ غاره ٠٠ غاره ٠٠ السماء سوداء ٠٠ الطائرات تلقى بالحمم ٠٠

رحماك يا رب اننى بائسة الهى لاشيء بيدى وأمسك بيد سماح ٠ أحمل عوده ٠٠ أجرى وراء أبى الاعمى لقد سلب البكاء من عينيه النظر ٠٠ الصراخ يرتفع الهى اين أبى ٠

ونعود نبحث بين الرماد عن البقايا ٠٠ وينطلق المذياع المجنون ٠٠ لقد

قام الجيش الباسل بحملة تأديبيــة على أوكار المخـربين وتم القبض على مجموعة يرأسها الموعو محمود الشيخ عرب ·· يا للمجرمـين ·· انه أبى الاعمى المتداعى ·· انه جد (عوده)·

٧ ـ

الجوع ينهشنى · لم يبق فى مقلتى دمعة وانا أودع ـ عوده ـ عند باب ملجأ الايتام سوف تنســينى الايام والهموم ·· والمتاعب التفكير فيه ·· غدا ترحل المجموعة الاولى من النساء الى الشمال الى مخيم جديد نصبتــه الامم مؤخرا بالتعــاون مع الصليب الاحمر · والحكومة رشفت اخر جرعة من ماء النبع الذى يوازى مخيمنـــا المحترق · انى أشاهد ظـــلا كبيرا يقترب · الظلال تلف الجميع المطـر ينهمر · الهى ما كل هــذا ؟ أطلقت صفارة الانذار ·· أظن خطأ ما سمعنا ليس سوى لغم أرضى أعده الفدائيون ·· انه بقايا لغم من عام ٤٧ لا من ألغام ٦٧ الجادة الحاقدة التى تزرع الموت فى كل زاوية ارتجت له الديار الفلسطينية · سمع صداه المغـرب العربى ، ثارت لاجله أمواج الخليج العربى ··

وشعرت بالجـوع ·· وانا اتلفح بثوبى البالى لاسير وحيدة فى الطريق الطويل وقطرات من الـــدم تدلنى طريقى ·· انها الزهرات التى خلفتها قطرات دم أخى ذات مساء ··

٨ ـ

الحقد ·· الحقد يزرع صـــدرى شوكا · يدفعنى الى التقلب كل مساء فى فراشى البالى لقد كانت رحلتنـــا طويلة · وكان حظى ان تضمنى خيمة عجوز وابنها المريض الذى يجهش كل لحظة بالبكاء لفقد المقدرة على مشاركة جهادهم المقدس فى سبيل الوطن ··

كان يبكى وأنا أنصت لبكائه المر · ثم أواسيه وأنا ازرع الامل فى صدره لكن يده تبدو كأنها وحش اســود معروقة متصلبة الاصابع ·· المحهـا كل دقيقة فى منامى واتخيل منصور وهو يبكى حاله · وفى لحظة غفــو سرقنى شعورى شعرت باختنــاق · شعرت بأننى اقترب من هاويـــة والهاوية تبتلعنى على الرغم من مقاومتى وأصرخ ·· وأصرخ ـــ واذا بيــد حنونة تهزنى ··

ـ ماذا جرى يا بنتى ٠٠؟

وتملكنى تفكير عميق ماذا يعنى هذا ٠ لعله خير ٠ وكان البصيص الاخير ٠ كان البيان السابع عشر يرثى منصور ٠٠ ويوصف الموقف البطولى الذى عاشه أبو عوده وهو يحمى ظهر رفاقه المنسحبين ويده على زناد رشاشه يحصد العدو ولكن طائرات الهيليوكوبتر لم تمهله ٠ القت بحممها فوقه فانكفأ على وجهه يقبل الثرى الحبيب يسقى عرق البرتقال ٠٠ بدم عربى جديد أستشهد ٠٠

ـ ٩

ماذا الحقد يلف خطاى ٠٠ يستأثر بلحظاتى ٠ والدموع تضيع معالم طريقى ٠ لم يبق لى أحد ٠ العجوز تدعونى بابنتها تسألنى لماذا تخليت عن عوده ٠ تسألنى عن طريقه حتى تحضره الى خيمتنا ٠٠ وأنا أبكى رسمت لها الطريق ٠

ـ أتتركين ابنك من أجل ابنى ٠٠؟

وتغلق فمى بيدها بينما تشير بيدها الثانية على ابنها وفهمت مرادها وأنا أقبل رأسها أدعو لها بالسلامة ٠ مرت لحظات رهيبة وأنا اقف على باب الخيمة أسأل السماء عن سبب الوجوم الذى يسربلنى ، يرسم الحيرة فى حركاتى وتطلعى بلهفة لنهاية كل صرخة تصدر من المخيم فهذه أم تبكى ابنها الذى مات فجأة وهذه ثاكلة تندب زوجها ٠٠ بينما مذياع شاذ يحاول أن يسيطر على الجو الحزين بأغنية راقصة ٠ تقطر بالضياع والحب والهيام الماجن ٠٠ كى تكمل بقية نشرات الاخبار فتؤبن الفدائيين المجندين فوق الربى المكشوفه ٠٠ واذا بى أبكى وأجد أن همومى تنقشع وأنا أسمع تنهيدة مكلومة تصدر من صدر مريض ٠٠ وهو يحاول النهوض ٠٠ لكنه يعود للبكاء وتلتقى دموعنا ٠





المرسوم

أنت قوى ٠٠ أنت هـكذا كل يوم حتى فى الايام التى لم أكن أعرفك فيها ٠ كنت اسمع انك قوى تتحمل كل شىء ٠٠ تتحدى الكلمات وتخرج لنفسك ما تريد ولو بالعبط والادعاء ٠ وأطرقت رأسها قليلا ثم مدت يدها لفنجان الشاى الذى لم يبق فيه سوى قطرات رشفتها ٠ وأعادته الى مكانه ومدت يدها الى أبريق الشاى وهزته فاذا هو فارغ لم يعد به شىء ٠ ورمقت محمد بنظرة فاحصة ثم جمعت الغناجين المتناثرة فى الصحن ونهضت من مكانهـــا ٠٠

ـ فين الشاى ٠٠؟

ـ خلص ٠٠

ـ لماذا ٠٠؟

ـ شربت البراد كله ؟ ٠٠ ما كفاك أصلح غيره ٠٠

لم يرد فوقفت قليـــــلا تتأمله ثم دخلت تغسل الاطباق ٠ منـــذ كتب الله عليها سكنى هذه الدار القريبـة من مسكن الاهل بعد أن كاد الخصام يؤدى الى ما لا تحمد عقباه لاصرارها على عدم السكنى مع والدته واخوانه ٠ وهم على هذا الحال من عدم المبــــالاة والاهمال ثلاث سنوات لم يتغير فى الموضوع شىء عدا تلك الرحلة التى قضى بها اربعة أشــــهر فى الرياض للدراسة رجعت فى اثنائهـــا الى دار أهلها ومن ثم الالتحاق بمدرسة محـو الامية التى افتتحت حديثا فى الطائف للامهات ٠

كان يسرح كثيرا رغم ادعائه أنهـا كثيرة السرحان ٠ فمنذ أيام بعـــــد غيبوبة طويلة نهض فجــأة وارتدى ثياب الخـــروج دون أن ينبس بشىء واتجه الى جهاز التلفزيون وأغلقـــه ناسيا الاخرين ٠ انتهت سـلوى من من غسل الاطباق وكنس المطبخ وعادت الى مقعدها قبالة محمد ٠٠

ـ اين البنت ٠٠ ؟

ـ عند أمي

ـ كنت أظنها نائمة ..

ـ معلوم لهفت البراد .. وانتمانت داري كيف تدري عن بنتك التي لا تسأل عنها . واللي ما ندري الانعن مصيرها ..

ـ ما هي عند امك ..؟

ـ أجل كذا . لكن البنات اذا قفلتفترة المغرب يجيبوها .

ـ عارف .. عار ف

انتهى الحوار وعاد الى الاوراق التيبين يديه ليقرأها وأخذت سلوى تتابع التليفزيون وان كانت تختلس النظرات بين الفينة والاخرى لمتابعة ما يقرأه زوجها الذى منذ عاد من المدرسة مع المغرب وهو جالس لايرفع عينيه عن ما بين يديه من أوراق .وشعرت بالضيق والقلق واحست أنها بعيدة عنه كثيرا فنهضت من مقعدها وأخذت تبحث لنفسها عن شغلة تنتشلها من أفكارها وأطلت من الباب الخارجي ثم أخذت تدور في البيت ومرت من أمامه مرة أخرى وخفضت من صوت التلفزيون وأحضرت مجلة وعادت الى معقدها تقلبها ..

ـ لماذا أغلقت التليفزيون .

ـ حتى لا يضايقك صوته ..

ـ ولكن .. هل حضرت البنت .؟

ـ بعد .

ـ ما هذه ..؟

ـ مجلة قديمة أشغل بها نفسي مادام انت مشغول .

ـ لماذا فتحت الباب ..؟

ـ شعرت بشيء من القلق فاطليت .عسى البنت جات .

ـ بس ..

ورمقته بنظرة ثاقبة ارتعشت عندما ارتفع صوت سيارة الاسعاف مجلجلا

انه قريب وأخذ يقـــترب وارتفعت أصـــوات أخـــرى وامتلأ الشارع بالمتفرجين وبسيارات الاســـعاف والاطفاء والشرطة ولم يتحرك محمـد من مقعده وصرخت سلوى ــ ما هذا؟ ــ ولم تحركه الصرخة • وقرع البـاب بشكل عنيف ووقفت وجـلة والقرع يشتد فنهض محمد من مكانه متأففـا لفتح الباب واطلت الصغيرة منـــال ضاحكة ومعها البنات واجفات •

ــ انبوبة غاز انفجرت •• انهـــا حريقة ••

ــ فير ••

وخرج الى الشارع واندس بـــين المتفرجين يتلفت هنا وهناك محـاولا معرفة الامر وتحركت سيارات الاسعاف والاطفاء وأخذ رجال الشرطة يفسحون الطريق لها وأخـــذ الازدحام يخف فقرر العودة الى البيت ولكن شـــده أحدهم :

ــ ماذا ••؟

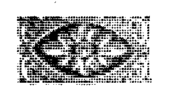
ــ وصلنا البيت ••

أوصل البنات البيت وعاد الى الدار ليجد أن ابنته قد اوت الى الفـــراش بينما سلوى واقفه تنتظر عودنه •

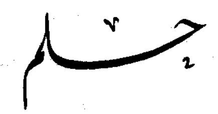
ــ أوصلتهم ••؟

ــ أجل ••

عاد محمد الى مقعده ولكن كل شيء كان يفكر فيه قد انتهى حتى الاوراق التى كانت بين يديه لم تعد به رغبة فى العودة لها فنهض من مكانه ••







انت نزق .. انت لا تهتم بالامرسيان عندك وقفت أمام الباب أم قفزت من نافذة في الدور السابع . تحاول أن تكون لا شيء ومع ذلك تغلي من داخلك ..

انت حقود .. وفى نفس الوقت جبان .. كل همك أن تكون جيدا أمام نفسك وأمام الناس ، تستمع فى صمت لكل ما يقال ثم ترسم ابتسامتك الباهتة .. أو خنجرك المسلط .

وتلفت غالب يبحث عن المتكلم .. لم يكن هناك احد سوى الكتاب الذى بين يديه . والراديو الذى غلب عليه التشويش فيه على الاغنية المذاعة فلم يهتم بتعديل المؤشر .. وجدران الغرفة الاربعة وبعض الكتب المتراكمة فوق طاولة صغيرة وبعض الاثاث المتناثر هنا وهناك ..

وعاد للكتاب وقلب الصفحة .

انت ساذج هكذا .. انها الحقيقة وتحاول أن تخلق من نفسك شيئا جديدا ونادرا صلب لا ينكسر ولا يتأثر بعوامل الجو . لماذا تكره الصفرة فى الرز ولا تهتم بأخذ السلطة ذات الطعم المزز .. لماذا تكره الليمون والشطة ..؟

ـ أأنا أكرة الليمون والشطة ؟

وصمت منتظرا الجواب . لكن لم يكن هناك من يهتم بذلك فأغلق الكتاب الذى بين يديه ومد يده بتكاسل الى الراديو وأخذ يعبث بالمؤشر ويتطلع فى ساعته .. لقد كانت التاسعة وأغلب اذاعات العالم تقدم نشرات الاخبار وأخذ يبحث فى جنون وسرعة عن اذاعة ولكن كان كل شيء موسيقى وتشويش ومؤثرات خارجية تزيد من وجع الرأس وفى نرفزة أغلق الراديو . ثم تمدد فى الفراش .. ضايقه الضوء فمد رجله الى زر الكهرباء وسرعان ما سبحت الغرفة فى الظلام .. ويتحسس اللحاف بعد أن دب الخوف فى أوصاله وغطى وجهه وقدميه وكل أطرافه .

حاول أن ينام وعاد الى احلامه ٠٠ انه وحيد منذ تركته نوره معهواجسه وأحلامه لقد قررت عدم العودة بعـــد أن شتم أصلها وفصلها في حالة غضب وتأسف على زواجه منها رغم أنه وفي خلال أربع سنوات كانت كل المبادرات تجيء منه هو ٠٠ لم ينس في يوم أن يقول لها كلمة شكر في هدوء وزقة ٠٠ ولكن ماذا اغضبها ٠ المرتب الصغير ٠ لا أظن فكل زوجة ترضى بما يقدمه لها زوجها ولو كان خبزا وماء ٠٠ هل هو شتمه لاسرتها ٠٠ قد يكون ذلك مجرد حدث طارىء لا بد أن في الامر شيء ما ٠٠ ؟

انها المائتى ألف ريال ولكن له أكثر من عشرات السنوات وهو في كل ليلة يرجو الله أن يمنحه هذا المبلغ ليعمل كل شيء ليشترى سيارة ويقتنى بيتا ويرفه عن نفسه وعن زوجته ٠٠ لكن لم يتحقق شيء من ذلك انه موظف منسي ومجمد لا يتغير راتبه ولم تتغير مرتبته منذ توظف منذ مليون عـام وكل شيء كما هو ٠٠

والراتب لا يبقى منه عند توزيع حصص البقال وايجار الشقة والاكل سوى ثمانين ريالا ٠٠ يدبرها حتى يحل مرتب الشهر الجديد ولم يتغير الحـــال ٠٠

هل هذا هو سبب غضب نوره ٠٠؟ انه مبذر هكذا قالت وما زالت تقول انها تحلم مثله ولـكن ليس بمـائتى ألف ريال ٠٠ انها تحلم بدار لهـــا ولبناتها دار ولو من غرفة واحدة ٠٠ تجعل الاطمئنان يسرى في عروقهـــا يشعرها بأنها ربة البيت وانهـا كل شيء ٠٠

ويرتفع صوت جلبة وضوضـــاء يقفز على أثرها غالب من الفــراش ويضيء النور ٠٠ ويأخذ في التجول بين الغرف لمعرفة مصدر الجلبة ويقرر اقفال المطبخ والحمام بالقفل وكذلك الغرف الاخرى حتى الباب الخـارجي أقفله بالمفتاح ٠٠ وعاد الى الفراش ودفن رزمة المفاتيح تحت المخدة التى يضع رأسه عليها ٠

احتضن الراديو ٠٠ وأخذ يبحث عن أغنية تشاركه وحدته في هـــذه الساعات المتأخرة من الليل ٠

وارتفع الصخب

اني أموت • كلهم لا يدرون ماذابي وما أعاني • ألم يهترى جسمي والافكارالملعونة تسحق هامتى تشنق كل محاولة للهدوء تطرق بابى السأم يكبلنى • الضجيج مزروع حولى والوقوف أمام النافذة أو الجلوس على عتبة الدار والرد على تحيات **المارة لا يفيد بشيء** ••

على أن أعود لاتمدد في فراشي أوالجلوس أمام درج أشرطة المسجل للبحث عن شريط قد لا أجده ، ولكن ماذا في الامر ؟ وجدت هذه الجملة فوق الجدران أمامي تلفت انتباهي كمؤشر سيارة صغيرة تحاول الانحراف وأخذت افتش جيوبى كانت هناك قصاصة تقول ـ الاخ احمد فكرة القصة لطيفة وذات مغزى فقط تحتاج الى بعض التركيز عاود قرائتها لتعرف ذلك •

اين التركيز الواجب تسجيله نحن نعيش التدهور لقد فغرت الهاوية فمها منذ مليون عام ولا زالت تستقبل المزيد انى اقترب الخطر يحدق بى من كل مكان وعلى أن اسجل شيئا قبل أن تتلقفنى الهاوية واستقر فى القاع • وماذا اسجل ؟ ماذا فى الامر وتطل جميلة بوجهها المعروق ويدها النحيلة وشعرها الاسود رغم السنين قد افتر ثغرها عن ابتسامة لتضع أمامي دلة القهوة مع فنجان واحد ••

ـ انى ذاهبة ••

ـ ألا تشربين معى •• فنجانا •؟

ـ لا أستطيع الوقت متأخر ••

ـ ولكن الى أين ••؟

ـ يعنى ••؟

ولم تقل شيئا هزت رأسها وأخذت تبحث عن عباءتها • واتجرع القهوة اسارع فى شرب الفناجين محاولا التغلب على الصداع الذى يهد رأسى وفشلت فالصمت الذى فرضته حولى بعد خروج جميلة لم يدم سوى

دقائق اذ اخترق ازيز دراجة ابن الجيران صومعتي وبكاء اطفال الوافدات لزيارة جارتنا شل ما تبقى في أعماقي من محاولات ٠

ـ يجب أن تغيري رأيك وتبقي معي فهناك موعد هام يجب انفاذه وبعد ذلك اسمح لك ٠٠ امامك وقت كاف كي تلغي الفكرة أرجوك اخرجي عن صمتك واجيبي على رجائي ، هل ستغيرين أم انك ستبقين على عنادك ؟

ـ ٠٠٠٠

ـ يجب أن تغيري رأيك ٠٠

وتلفت حولي لم يكن بالقرب مني سوى دلة القهوة الفارغة وفنجان في قعره بقايا وجملة تقول ـ كذلك هذه العائلة فرع من قبيلة كبيرة كانت تسكن الحجاز ويوجد حضر ينتمون الى تلك القبيلة وقد ورد ذلك في كتاب تاريخ نجد ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٠

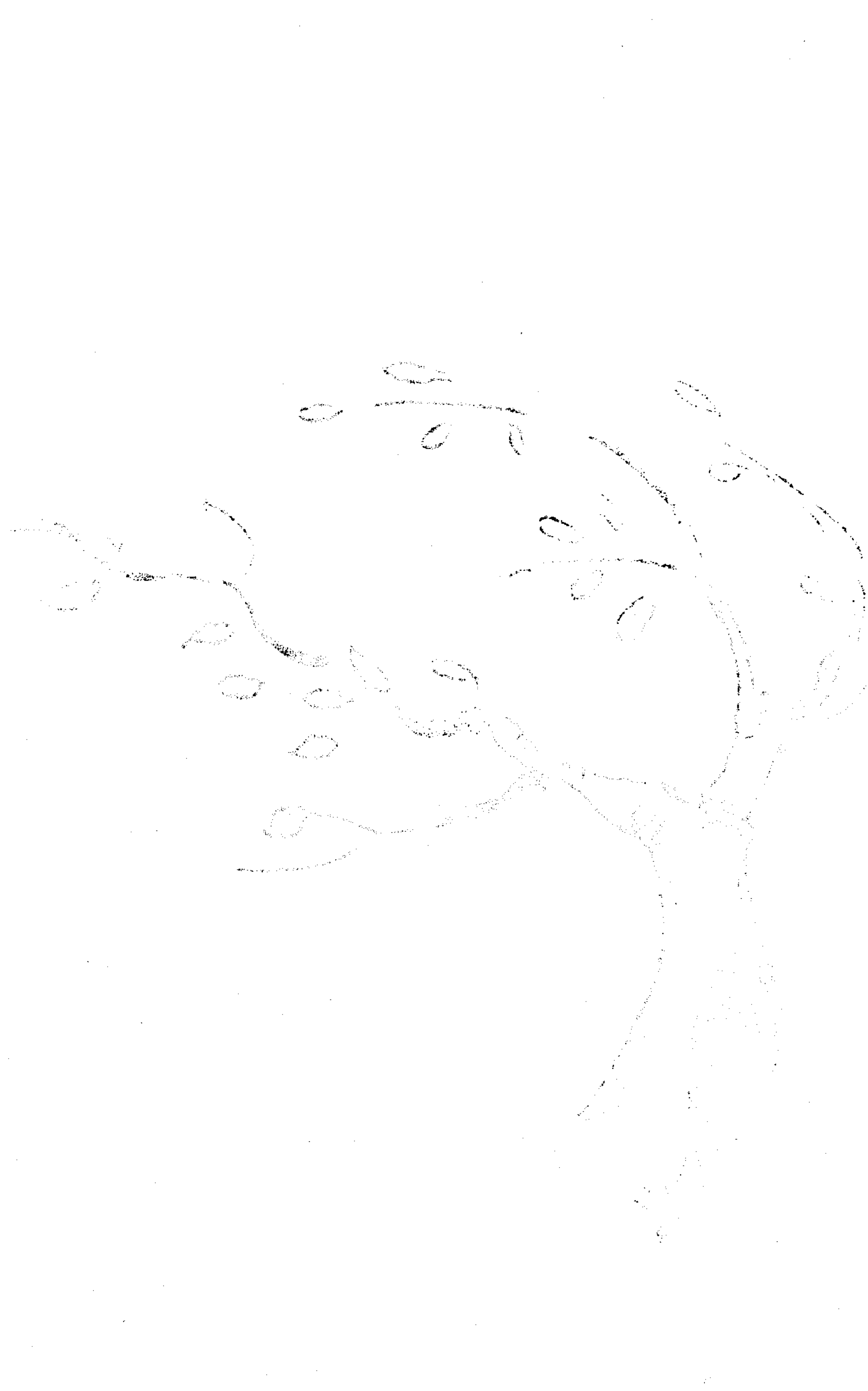
كانت المسألة بسيطة للغاية مسألة يقال أنها تتعلق بطبيعة الانسان وغرائزه واشياء كثيرة شعرت الان انها تافهة رغم ان العم أبو صالح أكد ارتباطنا بالاسرة الموجودة في القصيم وان السبل التى تحمل اسم العائلة الموجودة بتلك الناحية لنا الحق في سهم من أسهمها وكل ما علينا هو مطالعة شجرة العائلة ٠٠

ـ احمد ٠٠ أحمد انهض ـ هو أحد ينام الوقت هذا ٠٠؟

وتطلعت حولي كانت الساعة السابعة والنصف مساء ٠ حاولت أن أقول شيئا فلم استطع ٠ المهم عادت جميلة لتوقظني من النوم ٠ ن الرفاق لم يحضروا للسمر كعادتهم وعلى أن أشاهد ماتبقى من برامج في التليفزيون لقد برزت ثلاثة أشياء أمام أفكاري السابقة تخلق في ذات الوقت مرحلة جديدة على أن أفكر بها في جوهرها قبل أن يأخذني الوقت ويرتفع الصخب من جديد ٠

●●●





الحنين واللحظات المفاجئة

ـ حامد .. انهم يراقبوننا ...

وتلفت حوله يبحث عن المراقبين وتذكر فجأة انه وحيد والغرفة مقفلة حتى النوافذ مقفلة وليس هناك سواه وصوت « المكيف » يملأ الغرفة أنينا .

ونهض من على مقعده وهو يحرك النظارة محاولا تثبيتها على أرنبة أنفه واقترب من الباب وأخذ يستمع قد يكون هنـــاك حركة فى الخارج .. أجل .. هنـــاك أحدهم .. وانحنى يتأمل من خلال ثقب الباب واصطدم نظره بالجدار المقابل . ولكن هناك أحذية كثيرة تتجول وتأمل الساعة لقد كانت الحادية عشر ظهرا .

كيف يستطيع هؤلاء التجول فى مثل هذه الساعة والحر يسلخ الاجسام لا بد ان فى الامر شىء . وأخذ يتجول فى الغرفة مفكرا ...

لقد تسرب القلق الى أعماقه انه اليوم الرابع الذى يعيشـــه فى هذه الدومة لقد رحل الجميع وغدا وحيدا ... لا لم يرحل الجميع لقد قرر هو الرحيل هذه المرة وكان عن سابق اصرار . كان يعرف معنى الفراغ والصمت والوقت القـــاتل الذى يمر رتيبا فى سأم وشك . ولم يصل الى شى .

عاد الى مقعده يقلب الاوراق التى أمامه على المـكتب . وجدها متراكمة هنا . لقد أحضرها الفراش مرتبة من المكاتب الاخرى وعليه أن يوقع وتذكر اذن كل هـــؤلاء مراجعين ينتظرون أوراقهم وله أربعـــة أيام وهو يوقع ولكن لم تخرج ورقة من المكتب . أجل انه يتذكر لم يفتح ملف واحــد من الملفات المتراكمة على المكتب وانما كل ما وقعه هى تلك الاوراق التى دخل بها أشخاص . أخذوا يسألونه عن الصحة ويهنؤونه بسلامة الوصول . داعينه لشرب القهوة لكن كيف تعرف بهم انه لا يدرى . أجل فهم أغراب لا يعرف أســـــماءهم وانما يعرف وجوههم . أظن حتى فى الزحام وفى

السوق سـوف يذكرونه بالدعوة انلمحهـــم ويقلب الملف الاول ويأخذ المعاملة الاولى ثم يبدأ فى القراءة ٠٠٠

ـ حامد تذكر ٠٠ انهم يراقبوننا ٠٠٠

وتراخت يده وقد سرت قشعريرةفى جسمه ٠ أجل انهم يراقبونه ولكن الاخرين بعيدون « أمل » و « محمد »و « عزة » ٠٠ ؟

كلهم بعيدين لقد أمضى هذه الايام الاربعة يفكر فيهم كلهم بعيد ٠ لم يلمحهم بين الوجوه التى استقبلته اوالتى دخلت عليه المكتب ٠

لكن كيف حالهم الان ٠٠ ومد يده للتلفون ٠ ورفع السماعة يقرع الباب ثم يدخل مراجع فيعيد السـماعة الى مكانها ٠ ويأخذ القادم بالاحضـــان ويسأله عن الصحة والاحوال ويفل الرجل أوراقا بين يديه ثم يخرج قلمه المذهب من جيبه ويقدمه لحامد الذىأخذ يوقع الاوراق والـكلمات الرتيبة تمر عن الصحة وعن طلب تحديد وقتمناسب للتشريف وشرب فنجان من القهوة ٠ وامتلا المكتب بالمراجعين وفىعفويه أغلق الملف المفتوح بعد أن أعاد اليه المعـــاملة التى كانت بين يديه ٠وأخذ يضحك مع الجالسين ٠

●●●

المفترق العاق

سرحت تتأمل تلك الاحداث التي مرت بها خلال حقبة من الزمن هي بحد ذاتها لا شيء بالنسبة للاخرين لكنها في حقيقتها هي تمثل أجيالا من الاسر . أخذت « حصة » تجمع شتات الخواطر رغم الفوضى التي يعيشها الفصل وصراخ .. الطالبات وهمهمه المقاعد المتضجرة من اضطراب محتذيها وفي محاولة يائسة رفعت يدها لتهدىء الطالبات . لطرد تلك الذبابه الملعينة التي أخذت من أرنبة أنفها منبرا . ؟أم لطرد تلك الغمامة التي اخذت تعترض طريقها .. ؟ أم هي محاولة يائسة لاسكات ذلك الفم الذي انهال يقرعها على فكرتها الجديدة التي اختمرت في ذهنها وقررت تنفيذها رغم كل شيء . ران الصمت على الجميع وتلفتت حولها تبحث عن الضجيج والضوضاء . وفوجئت بالهدوء يخيم على الغرفة وشمس الربيع تتسلل في هدوء عبر ستائر نوافذ الفصل .وأنين خافت هو صدى تلك الحركات المكتومة الصادرة من الغرف الاخرى عبر شقوق الابواب ومن وراء وقع نعال وأحذية المدرسات وعاملات النظافة خلال تجوالهم في أروقة المدرسة الكبيرة . زرع كل هذا فوق الجدران علامات استفهام كبيرة ملونة سرقة وسائل الايضاح ورسوم الجدران ألوانها بقسوة وعناد وتمددت فوق المقاعد علامة استفهام كبيرة لالون لها . وصرخت في الطالبات ...

ـ ولكن هذا فم مين .. ؟

واحتارت الطالبات دب الذعر والخوف في أوصالهن وهي التي عودتهن على قسوتها ... وعنادها في الوصول الى جواب مهما كانت الاحوال واستنجدت صاحبة المقعد الاول بجارتها وعادت الحركة الى الفصل لانتزاع « حصة » من هواجسها وتصرخ في واحدة ..

ـ نجاة واصلي القراءة .. ؟

وأخذت نجاة تقرأ (يا بهجة القلب يا منبع الحب والعطف يا أمي .. خففت آلامي أسعدت أيامي بالحب ياأمي بالروح أفديك ..) .

ويرن الجرس معلنا انتهاء الدرس ، وجلست في الفصل وحيدة تناجي المقاعدة شاردة رغم انها أخذت الكراريس لتصححها الا انها لم تقم بتصحيح واحدة منها ..

ـ أنت عاقه ٠٠٠

وتلفتت حولها ٠٠ ولكن من أنت ٠٠ أنا لست عاقه ونهضت من فوق كرسيها واقتربت من النافذة وأخذت تتأمل الطريق الموحل حيث يقبع المنعطف ٠ ورفعت وأشارت فى تخاذل ثم أخرجت من فمـــا جملة كفحيح الافعى ٠٠٠

ـ انه هو العاق ٠٠٠

وكررت ٠٠ نعم هو المفترق العاق ٠٠ لست أنا ٠٠ ؟ هنـاك أمى ٠٠ وهناك أبى وكلهم يشدنى اليه فالى من أذهب ٠٠ ؟ تـــكلم يا من تتهمنى بالعقوق ٠ وقبل أن تسمع الجواب فتح باب الفصل بقوة ودخلت الطالبات فى جلبة وضجيج غير مباليـــات « بالابلة » المصلوبة على نافذة الفصل ودارت حول نفسها ورمقت الطالبات بقسوة وصرخت فيهن ٠٠٠

ـ أنا ٠٠ هنا ٠٠ !

فران الصمت على الفصل وأخذت طريقها الى مكانها أمام السبورة وأخذت قطعة من الطباشير ورفعت يدها وفى منتصف الطريق توقفت ٠٠ ورمقت الطالبات فى ارتياب ٠

ـ هوه الدرس ايه ٠٠ ؟

وجاءها الجواب من أكثر من فم فلم تفهم شـيئا فاكتفت بما سمعت وأعادت الطبشيرة الى مكانها ٠ وعادت الى كرسيها تحاول تصحيح الكراريس التى أمامها بينما سرت همهمة مكتومة بين الطالبات حاولت ـ العريفة ـ بترة بوقوفها وأخذت تجيـل بصرها فى الجميع توقفت أمام واحدة ٠٠٠

ـ أنت ٠٠٠

نعم ٠٠ يا « ابلة » ٠٠

ـ والدك فين ٠٠ ؟

ـ مســافر ٠٠

وتوالت الاسئلة على الطالبــات فوجدتهن جميعا لهم آباء وأمهـات بخلافها حيث لا أب ـ لها ولا أم ٠٠ كانت فى مثل سنهن لا تعرف شيئا

ولكنها الآن فهمت الحقيقة بحذافيرها ٠٠ أب مزواج كل سنة ٠٠ كل شهر له زوجة وأم بائسـة رمت بابنتها لترضى أسرتها ٠ كانت تسر وهي ترى الدار فى هـرج ومـرج ٠٠ وكانت مسرورة أيضا وهى تحظى بلحظة عطف عند زيارتها لوالدتهـا التى أكتفت بتجربة واحدة فى الزواج ٠٠ لتكون عالة على أسرتها ٠٠٠

هكذا وجدت «حصة» أمها ٠٠ وهكذا وجدت أبيها ٠٠ كانت أمها امرأة فلم تنجح من ألسنة السوء اما أبيها فماذا تعرف عنه ٠٠ ؟ لا شيء سوى هذا الجحفل الجرار من الابناء والبنات وكبرت وتخرجت من معهد المعلمات أصبحت مدرسـة حاولت أن تتجاوز كل شيء ٠٠

ولكن كلمة ـ عاله ـ أخذت تتضخم أمامها تعرقل خطاها تمـلأ ما حولها عتمة ٠ وقررت شيئا لم تحاول البوح به لكن أحـدهم اكتشف ذلك فأخذ يلاحقها صارخا فيها ٠٠

ـ انت ٠٠ عاقه ٠٠ !

ونهضت من مقعدها واتجهت الى النافذة وأزاحت الستائر ٠٠ ورمقت الشـارع الموحل ورفعت يدها هذه المرة بقوة مشيرة الى المفترق ٠ والتفتت الى الطالبات ثم صرخت فيهن ٠٠

ـ انه هو العاق ٠٠ ؟

وأجابت الطالبات فى صوت واحد ٠٠٠

ـ نعم يا « ابلة » ٠٠ نعم يا « ابلة » ٠

●●●



عندما فات الوقت

• استقر رأيه أخيرا على أن يتزوج• وقرر البحث عن الفتاة المناسبة • فأخذ يسأل هنا وهناك••ووجد ولكن في أعماقه شيئا يدعوه الى عدم الاقدام اذ انه يرى كل فتاة وجدها « فاطمة » تلك التى لعبت بعقول الشباب وفاز كل واحد منهم منها بموعد كاذب •••حتى هو أخذ من مواعيدها الكثير لكن عندما يصل كان يجد الشارع فارغا وباب الدار مقفـــــلا بالقفل الاصفر المعتاد • رغم ان هناك بالداخل صوت وحركة •

وقرر بعد جهد ان كل بنات المدينة غير مناسبات • وأفضل حل له أن يتزوج من قريبته رغم عدم معرفته لها • فشد الرحال مصـــطحبا خاله وابن خاله • أخذت الطريق أمام الثلاثة تقصر والحديث بينهم ما زال فى بدايته والســـيارة بين لحظة وأخرى يرتفع أنينها لوعورة الطريق الجبلى •

وصل الثلاثة وتلفت « صالح » حوله يبحث فى البيوت الطينيـــة المتناثرة والمزارع الممتدة على مد البصر فوق الجبال وبين الاودية • عن وجده لامه التى ماتت وهو فى الثـــانية •وحمله أباه الى المدينة حيث لقى هو أيضا ربه فكفله خاله وأهتم بأمره •

ولم يجد من يساعده على رســم صورتها أو ذكر شىء عنها فكلهم نسيها ولم يعودا يذكرون « حليمة » •• فكم من حليمة ماتت فى هذه السنين التى مرت وأصبح عمره فيها ثلاثين سنة •كل ما استطاع أن يجمعه هو عشرون ألف ريال منها خمسة آلاف دين •

استقبله الجميع • ودارت الدعوات كل يوم فى دار وكل وليمة فى دار ومـــا زال الحديث كمـــا هو فى بدايته • وطالت مدة المكوث بدون نتيجة •• اما لشروط هو يريدها لم تتوفر أو لشروط أهل الفتاة لم يوافق هو عليها • وتسرب الملل اليه والى خاله فكلهم يريد أن يتزوج مثله وكلهم يبحث عن فتاة • وهو يريد فتـــاة كاملة • وابن خاله يريد امرأة جميلة، امـــا خاله ابن الخمسين فيريد امرأة ولودا بعد أن سمحت له زوجته العقيم بأن يتزوج • انه يبحـــث عن امرأة ثالثة •••

ووجد الجميع طلبهم ، وكان الحفل رائعا ، وعادوا والبسمة ترف على الاهداب تزوج الاب وابنه أختين ،إما « صالح » فقد تزوج ابنة عم زوجة خاله العقيم .

ومرت الايام رزق فيها الثلاثة ثلاثة مواليد فى فترات متقاربة وهش الاقارب تهللت الاسر الثلاث بفرح وحبور . ولم يلحظوا فى فرحهم هذا ما يدور فى قلب زوجة الخال العقيم التى شاركت الجميع فرحهم وشملتهم بعطفها وارشاداتها اذ كانت فى مقام الام لكل واحدة من البنات الثلاث ..

وانفجر الموقف .. قرر الخال تطليق زوجته الجديدة بعد أن وجد فى سلوكها ما يعيب وطلب من ابنه تطليق أختها مدعيا بأنه لا بد ان زوجته أثرت عليها وان ابنه لم يلاحظ ذلك .

وتسرب الشك الى قلب « صالح » ... فأخذ يراقب زوجته وقرر اغلاق الباب عليها بالقفل عندما يغادر الدار .

ولم يتوقف شكه عند حد فأخذ ينهار جسمانيا ونفسيا فشخص بصره وأخذ لا يكف عن الحديث فى مشيه أووقوفه . وشعر زملاؤه بما هو فيه لكنهم كانوا يجهلون السبب . فلم يستطيعوا التخفيف عنه أو حل مشكلته .

وطلب أجازة من العمل لمدة ثلاثة أشهر . فأخذ زوجته وسافر بها الى القرية واستقبله أهله بالترحيب .وطلب منهم عندما قرر السفر ابقاءها عندهم حتى يعود لاخذها مدعيا انه انتدب للعمل فى أماكن بعيدة من البلاد .

وعاد الى عمله . ولم تمر أيام حتى تحقق ما ادعاه فانتدب الى الحدود الجنوبية من البلاد ثم الى الشمال ثم الى خارج البلاد وكأنه توقف قليلا أثناء مشاغل العمل عن التفكير فى زوجته وابنه ... وحط الرحال أخيرا وقد عاد اليه بعض هدوئه . فقرر السفر الى القرية لاخذ زوجته وابنه . فأخذ يفكر فى يوم السفر ودخل عليه أحد زملائه فى غرفته بمقر العمل يحمل بين يديه رسالة وصلت مع ساعى البريد الذى لا زال داخل الادارة يوزع ما فى حقيبته من رسائل فهجم على زميله عندما تأمل ختم

البريد وفض الرسامة وما أن وصل الى نهايتها حتى تهاوى على مقعده ..

(لقد أرسلنا لك أكثر من رسالةولم يصلنا الرد عسى المانع خير ... وقد ذكرنا لك فى رسالة أرسلناهامنذ شهر بأن زوجتك انتقلت الى رحمة الله فى حادث مؤسف . اذ سقطت فىاحدى الابار وهى تحاول جلب الماء الى البيت ... اما ابنك « عبد الله » فهوبصحة جيدة ولا مانع لدينا ان حضرت لأخذه ..) .

ووضع رأسه بين يديه يتأمل الرسالة التى تمددت على المكتب أمامه ثم رفع رأسه وأخذ يتأمل وجه زميله الذى ما زال واقفا ينتظر منه كلمة شكر . ثم طوى الرسالة فى هدوء ودسها فى جيبة وخرج من مقر العمل ...

●●●

ذات يوم

١ ـ الساعة الرابعة والنصف مساء

يبدو مع ذلك اننى أهملت واجباتى ·· انقضى أكثر من مائة عام قبل أن أصل الى هذه النتيجة · لا شيءتبقى سوى نحن الثلاثة · السماء ملبدة بالغيوم · وكراسى المقهى المنتشرة هنا وهناك شبه ممتلئة بالمرتادين والجرسون يعدو هنا وهناك وبين لحظةوأخرى ينادى بصوت مرتفع أربعة أسود · ! عبى حجر · ! أو غيرالراس ·· !

وأنا أحاول أن أنصت أكثر من اللازم حتى استمع الى الحديث الدائر بين رفيقى صالح وحمد · ان حديثهم الهامس رغم انه لا شىء يثيرنى · ! وصرخ أحدهم :

ـ مطر · ! مطر ·· !

وتساقط المطر وأخذ الزبائن يفرون ، اما نحن الثلاثة مع برادنا وتعميرتنا ··· فقد صمدنا ، وأخذنا نضحك من الفارين من مطر الصيف·· انها سحابة وتنقشع وكدنا نيأس ·· كاد صمودنا يتحطم أمام آخر زخة من المطر · كان الرهان كبيرا ·· وتوقف المطر !!

وعدنا لحديثنا الذى انقطع مع تساقط أول قطرة ماء ·· وعاد صالح وحمد لهمسهم ···

وتأملت السماء ·· فى شىء من الضيق ·· وتأملت رفيقاى ·· وهمست ··

ـ صالح ·· هل تذكر أباك ·· ؟

سؤال غريب ·· كنت أشعر بغرابته وعدم استساغته ومع ذلك صممت على القائه صمت قليلا ·· وقال :

، أجل أذكره ٠٠ وأعرفه ٠ كان رجل مغامر كثير الرحلات ٠٠ تاجر فاشل ٠٠ هاجسه ظهر بعيره ٠٠ رحل ذات يوم ولم يعد ٠ كانت سفراته طويلة فلم نكن نقلق ٠٠ وجاءنا خطاب بعد مضى سنة على آخر سفره له يقول أنه مات ٠٠٠ أجـــل مات فى أرض الغربه ٠٠ ولا شيء أكثر من ذلك ٠٠٠

وصمت ٠٠ كنت أظن اننى أعرف الكثير عن والد « صالح » ٠ ورددت اننى أجد عطفا خفيا على الفتى ولم أجد مدعاة لان ألومه لرغبتـــــه فى الايجاز ٠ وكنت على استعداد لتشجيعه ومعاونته على الاسترسال ٠٠ ونظر الى « حمد » ليرى أثر الحديث فلم أمهله اذ فاجأته ٠٠٠

ــ حسنا وأنت يا حمد ٠٠ هل تذكر أباك ٠٠ ؟

تأملنى مشدوها ٠٠ فهو يعرف اننى أيضا أعرف أباه ٠٠ واننى كثيرا ما جلست معه استمع الى حديثه الشيق وشكواه من الزمن بأسلوبه الفكه الممتلىء فلسفة ومنطقا ٠٠٠ اذ كان يحلل كل شيء ولا يدع مجالا للشك ٠٠ أسلوبه مقنع وحواره هادىء ٠٠٠

ــ أبى تعرفه ٠٠ وأعرفه كان رحمه الله يحرص على أن نكون صالحين قدر المستطاع ٠ وتوقف عن الحديث ٠٠ كان يريد أن يقول (يمكننى أن أقول لك بايجاز اننى كما اكتشف المخلوق الاول قدرته على لمس خنصره بابهامه استطيع أن أبين لك النتائج التى تضمنتها هذه التربية على قدر ما يخصنى فى هذا المقام فقط) ٠

٢ ــ الساعة السادسة مساء

دب الملل والسأم فى أعماقنا من مكوثنا فى المقهى بعد أن فرغنا من الحديث وسـئمنا من مرور القهوجى أمامنا بين لحظة وأخرى وصراخه ٠٠٠

فركبنا السيارة وقررنا التجول بين الصـخور والاشـــــجار المحيطة بالمكان ٠٠ وما ان فتحت باب السيارة حتى واجهنى سؤالى ٠٠٠

ــ وأنت هل تعرف أباك ٠٠ ؟

تلفت حولى فوجدت « صـــالح » مشغول بادارة جهاز الراديو ٠ و« حمد » يتلفت حوله ويجيل نظره ليستمتع بالنظر ما أمكنه من الاشجار ٠

– أبى .. مات وأنا فى الثانية من عمرى .. ليس بمغامر أو تاجر .. رغم انه كان كل شىء . اشتغل فى التهريب والتجارة وعاد بخفى حنين .. حاربه أهله فهـــاجر الى الجنوب مع الحكومة وهناك وجد عملا . اشـــتغل بجد ونشاط .. ولكنه توفى مخلفا الكثير من الاملاك .. ومع ذلك ها أنا ابن الثانية لا أملك شيئا وقد جاوزت الثلاثين .

موظف عادى .. مرتبى محدود .. وتذكرت ان صالح وحمدا أيضــا مثلى لا شىء .. كلاهما موظف عادى ومرتبه محــدود .. لكنهما يبزاننى بشىء جوهرى انهما يعرفان أباهما اما أنا فكل معرفتى هى حكايات معاصرية لا غير ..

وعدنا أدراجنا الى المدينة رغم ان الوقت ما زال مبكرا ..

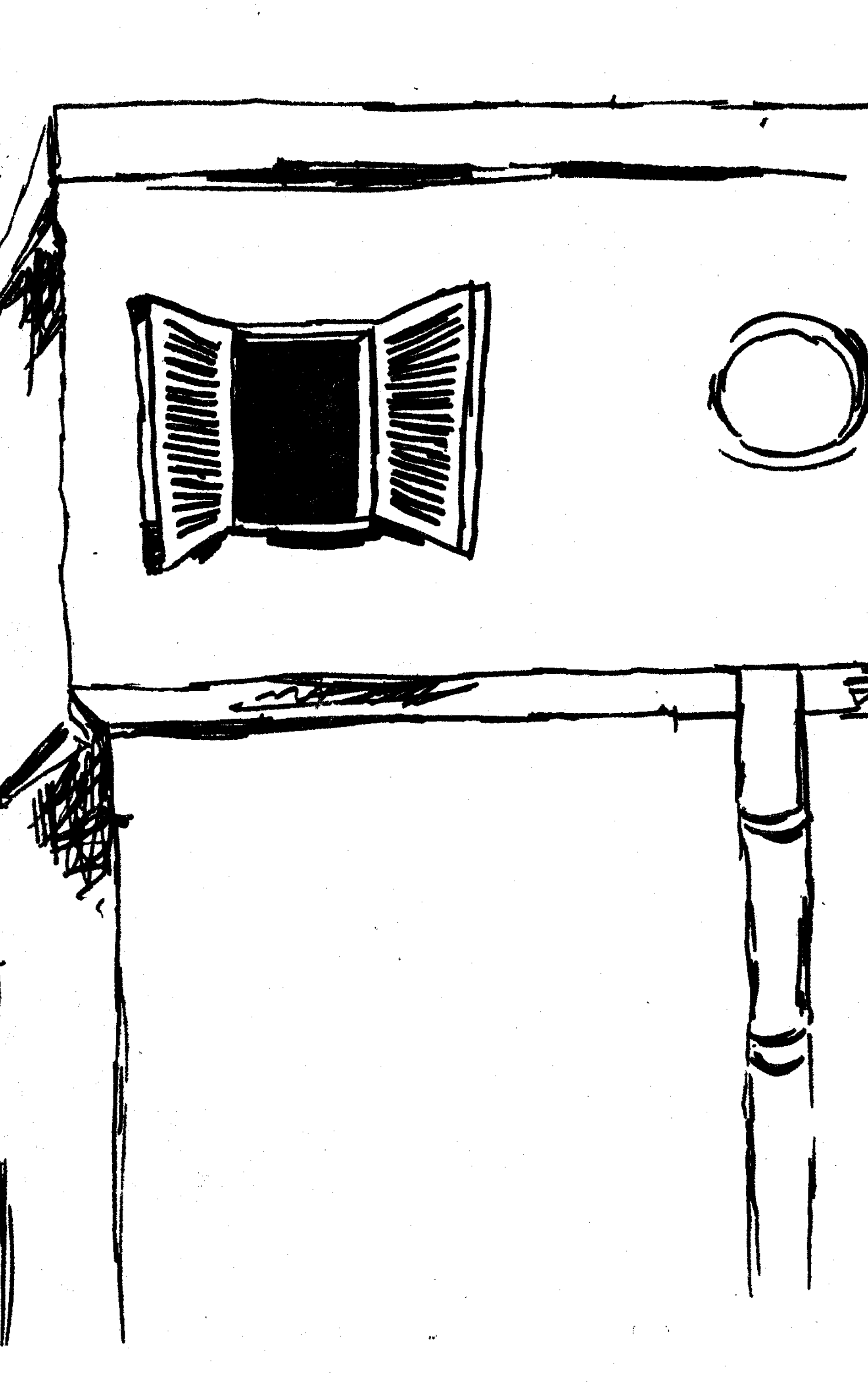
– الى أين .. ؟

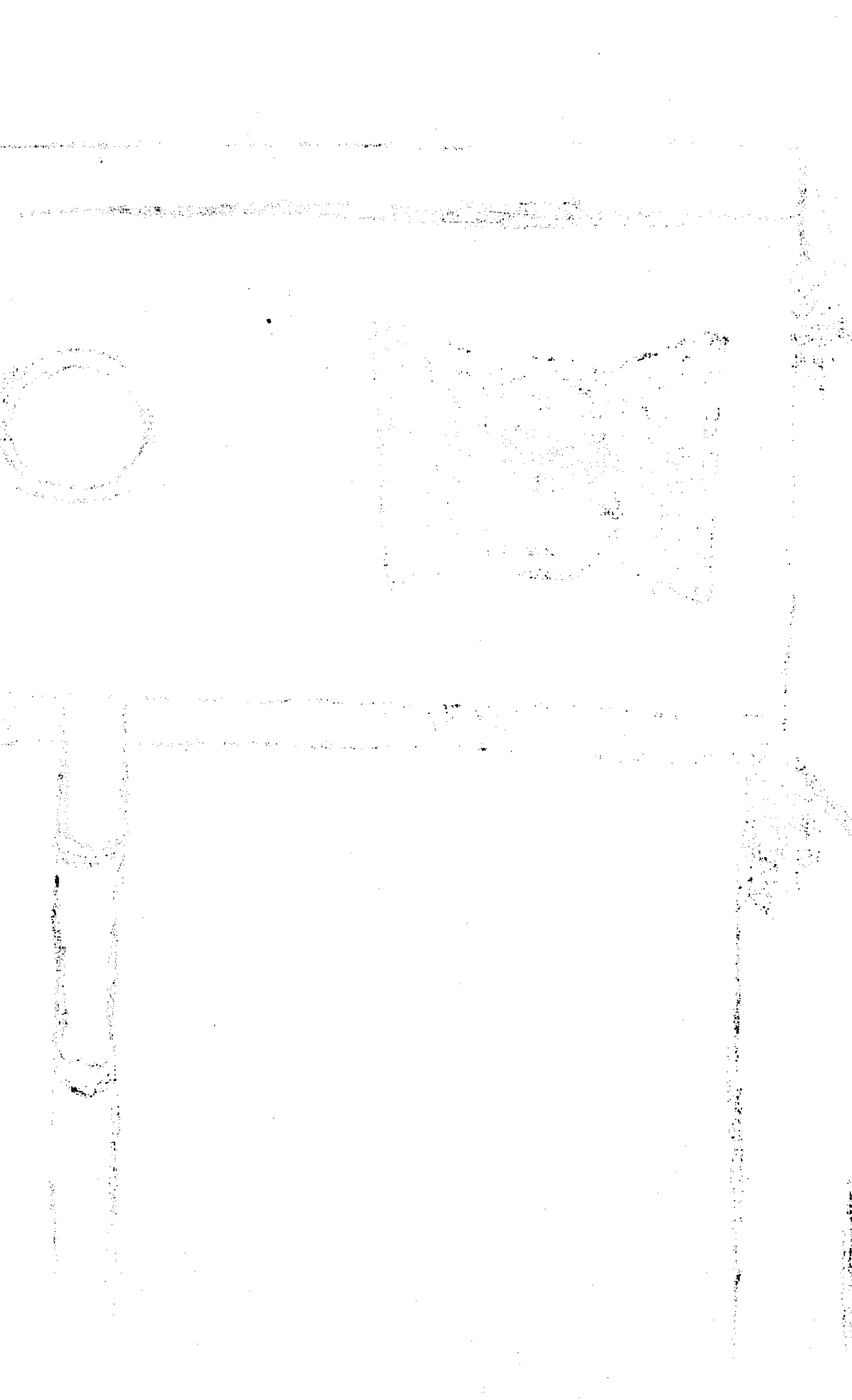
– الى البيت ..

– لماذا لا نرجع الى المقهى .. ؟

وعدنا الى المقهى بعد أن وافق الاثنان ..







نقطة اليأس

استحال كل شيء الى ضباب وتلاشت الطريق . لم يعد هناك أمل في الوصول الى البر في سلام . بدأت الاحداث تطفو معلنة عن نفسها بطريقة صارمة . زرعت الدموع في عين « فاطمة » التي ما برحت تتأمل ابنتها الجاثية على أقدام خالها المريض فتراقصت الصور أمامها تلعن كل شيء في هذه الحيـــاة الموبوءة التي أعلنت عن وجهها الآخر فجأة .

كان كل شيء يسير في طريقه برتابة ووضوح تملأ النفس ثقة والحياة طعما لذيذا ...

ـ ما رأيك يا فاطمة .. ؟

ـ في .. ماذا .. ؟

ـ في أن تبقى هنا مع أبنائك أو نذهب الى الطائف على شرط أن تسكني في دارنا .

ـ لكن من يعيش معنا أثناء غيابك .. ؟ إن الامر مستحيل هنا . وفي مقدورنا أن نطلب نقل ملف الابناء ..

ـ أجل في استطاعتنا .. ولكن كما قلت ..

ـ يعني أســـكن في دارنا .. أليس كذلك .. ؟

ـ أجـل ...

ـ وهل أبقى وحيدة هناك وأنت تعلم ان للبيت طلبات وحاجات ..

ـ أعلم ...

ـ أم ترغب في استئجار خادم للعناية بأمرنا .. ؟

ـ في امكاننا ذلك .. اذا تعذر بقاء أحد أشقائك معك ..

ـ ولكن لم لا توفر نقود الخادم . وتدعني أقيــــم مع أسرتي حتى تعود .. ؟

ـ هذا مستحيل ...

وأصر « سالم » على كل كلمة قالها ووجدت « فاطمة » نفسها وحيدة مع شـــــقيقها المريض تترقب زيارة أحدهم حتى يأخذه الى المستشفى أو

يبلغ والدها للاسراع الى نجـدتها، تراكمت الساعات وكل شيء يزيد في رهبة اللحظة التي تعيشها ولم يسعفها تفـكيرها بشيء فتداعت في غرفتها تبكي • بينما انين أخيها المريض وبكاء أبنائها المحيطين به يتسلل عبر الباب• كان المرض المفاجيء له وقعه في الدار الصغيرة في هذا الوقت المتـأخر من النهار ••

وفتحت أثناء تقليبها لمحتويات الغرفة دولاب الملابس وأخذت عباءتها من المشجب وخرجت لا تلوى على شيء الى الطريق وفوجئت بالظلام المخيم وترددت وهي تنقل خطواتها السريعة الى أي ناحية وبعد خطوات لمحت سيارة أجرة وقبل أن تفتح فمها منادية توقف أمامها ••

ــ نحن في الخدمة ••

ــ أبغى المستشفى ••

ــ السيارة •• وصاحب السيارة خدامك •• تفضلي •• !

ولم تتحرك السـيارة فقد أصر السـائق على أن تركب وهمت بالانسحاب لكنه استغل خلو الشارع فلحق بها وأمسك بيدها بقوة وتصميم•

ــ أمرك •• لكن يجب اسعاف المريض •

ــ من عيوني •• بس •• ؟

ــ اني أعدك وأقسم لك فقط ساعدني •••

وأخذت المريض الى المستشـفى وثابت الى رشـدها فأخذت تفكر في وعـدها • كان عليها أن تبحث عن مخرج وطلبت من السائق أن يوصلها الى منزل أسرتها وتردد لكن طمأنته بأنها عند وعدها له • واسـتقبلها والدها وبقيت الاسرة مستغربة زيارتها المفـاجأة واطلت الدموع من مقلتي والدتها وهي ترى المريض والقلق الذي تعيشه ابنتها •••

عاد الاطمئنان الى فاطمة وهي ترى الجميـع حولها فأخذت تعود الى حالتها الطبيعية وتتعجب من ابنتهـا البكر التي أصرت على البقـاء طوال الوقت جاثية عند أقـدام المريض • تشجعه على تناول الدواء وتساعده على الاكل ••

وكان بين الجميع قريب أصر على الاشراف على علاج المريض • أخذت تتأمله متذكرة انه تقدم يوما ما لطلب يـدها • وتوقفت أمام والدها تتأمله وهو يتحدث • يوزع أوامره ثم يمد يده ليدثر أو يربت على المريض •

ـ انك انتهازى •••

خرجت هذه الجملة رغم أنفهـا وتبتعد بنظرها عن أبيها خشـية أن يسمعها أحد وعادت متسللة تتأمل أبيها • كان كل شيء يسير كما كان منذ لحظـات ولكن لم تفوهت بهذه الكلمة ؟

ان « سالم » رجل غنى وذى مركز مرموق اما هذا القريب فهو مجرد موظف صغير • وصاحب سـيارة الاجرة • ماذا يكون أيضـا • أتراه انتهازى أيضا وانتصبت صورة زوجها أمامها فصرخت •••

ـ وأنت •• ماذا تكون •• ؟

واثارت انتباه الجميع بما قالت •••

ـ فاطمة •• ما بك •• ؟

ـ لا شيء •••

ـ لكن ماذا قلتى •• ؟

وتدخلت والدتها ••

ـ انها متعبة •• انهضى لتنامى قليلا •••

وترددت ولكن نظرات أبيها ورجاء أمها دفعاها الى مغـادرة الغرفة مستسلمة • ووقفت في نافذة غرفتها القديمة ترمق الافق في يأس وتبحث عن جواب •••

البحث عن ابتسامة

لتنهار كل المبادىء وليعم الدمار العالم • لترحل الكلمات الطيبة فى قارب صغير يجرفه التيار الى أعماق البحر • وتجتاح الاعاصير والامواج المدن وتتلاشى صرخات الهلعين • فى الضباب الاسود الذى أتمنى أن أغطى به كل شيء حولى حتى نفسي • أنا حاقدة لانى منبوذة كلهم رأوا فى شبح الجريمة وحقد البشرية جمعـــاء رغم اننى لم أقترف ذنبا يذكر • ماتت أمى وهى تصر على أن أكون بعيدة فى مدرستى الداخلية التى قرر أبى حبسى فيها وأيد قراره جميع أفراد الاسرة • كنت ألمح بريق الانتصـــار يطل من العيون حولى فأعيـــد بصرى حسيرة أبحث عند أقدامى عن الحقيقة الضائعة فى زحام من حولى • لم ينتشلنى رفاقى مما أنا به ولم يخفف من مضاعفات ما أعانى رحيلى الدائب وحرصي على البحث عن الغرباء كنت أفر من الجميع لاحرص على اكتساب صديق •••

كنت أخشى مشاهدة ذلك البريق الذى لمحته فى عين أمى وهى جثـــة هامدة مسجاة على فراشها كان عهدى بها لحظة الانتصار عندما وافق أبى على ادخالى المدرسة الداخلية • البريق الذى شع من عيون الجميع انه الان يطل بقوة من عينى والدتى الميتة والتى أصررت على مشاهدتها قبل مواراتها التراب • ومبعث اصرارى تحـــدى الجميع •• وأبى المنهار الذى انهار لتلك الهمسات المسمومة التى تدور حولى كنت أريد منهم أن يصمتوا ولكن ذلك زاد من ثرثرتهم وتقدم منى طبيب الاسرة يسألنى ان كنت أريد مساعدة وفى بطء أزحته بيدى واتجهت الى الكرسى الذى اعتادت أمى الجلوس عليه فى غرفتها •• وأخذت أبكى ••

كان بكائى صمتى وتلفتى حولى •• وكان الفراغ يحيط بى لم تكن هناك جدران ولا ســـتائر نوافذ •• أبدا لم يكن أمامى سوى فضاء رحب • لا أعلـــم كم من الوقت مر كل شيء هادىء الرياح سكنت وأغصان الحديقة لزمت الصمت • وأخذ الموكب المهيب يجتاز باحة الدار • الجميع مطأطىء الرأس يأكلهم الصمت وتقرأ أفكارهم بشيء حاولت معرفته من تلفت بعضهم وهم يتبادلون أماكنهم تحت النعش والصقت وجهى بزجاج النافذة اتأمل الطريق والموكب يغرب ••• يبتعـــد وشـــعرت فى تلك اللحظة بالدموع

تنسكب على خـــدى وسمعت ورائى خطوات • كان أبى المنهوك وتلقفنى بذراعيه كنا نبكى ودخلت عمتى •••ودخل بقية أفراد الاسرة • لقد انتهت مراسم الدفن لقد طمر القبر فى ثوان فقط شعرب فيها بأن آبى لم يكن لى شيئا من الحب وان هناك نقطة نستطيع الالتقاء عندها ووقفنا مطأطىء الرؤوس نتقبل العزاء كانت كلمتهم واحـــدة كلهم يقولون كلمة واحدة حتى ذلك الصبى الذى التصق بساق أمه مع انه لم يحرك شفتيه الا انى سمعته يقول نفس الكلمة • وتحركت مبتعدة أخذت أسير وأنا ساهمة لم ابالى بنظرات من ولى ولا باســـــتعطاف أبى وهو يرجونى الوقوف الى جانبه لشد أزره وانتهت فترة العزاء عاد أبى الى مصنعه وأخذ الجميع يعودون الى مرحهـم • كثر عدد سكان الدار هذه المرة هكذا تصورت رغم أننا فقدنا أمى لقد كان الضجيج يمـــلأ الغرف والاجتماعات الثنائية الصامتة تحطم أعصابى •••

نظرة النفور تقابلني من الجميع الذين يتجنبون الانفراد بى •مجنونة• زرع أحدهم هذه الكلمة فى نفوس من حولى فصدقوه وتضخمت الهمسات سمعت الخدامة تكلم أحد عماتى ••

– لم لا تعود سلوى لمدرستها •• ؟

وعرفت مدرستى انها تلك الكلية البعيدة للشــواذ والمشــاغبين وذوى الحساسية الخاصة •

– محمود •• لمـاذا لا تعود « سلوى » لمدرستها •• ؟

كان أبى يتلقى هذا السؤال فى كل مكان • حتى عندما أخلو به ونجعل من الصمت رسول تفاهم كنت ألـح على السؤال المرسوم على الجدران فى كل مكان وصرخت فى أبى •••

– وأنت هل تريد منى الذهاب الى المدرسة ؟

وذهبت الى المدرســة وبعد أيام اذا بأبى يموت •• تدهورت سيارته•• ولم يعتن أحـــد بطلبى وغرقت فى دموعى بشـــكل رهيب حتى وجدت المشرفة على القسم الذى أنا فيه انه يجب مساعدتى (كان ذلك فى ليلة مشؤومة بالنسبة لى صرخت الفرحه فى جنبات دارنا ••) وأغلقت المشرفة فمى بيدها وهى تقول :

– انى أعرف كل شيء •••

– ولكن هل أنا مجنونة •• ؟

وطأطأت رأسها • وحاولت انأنسحب من أمامها ولكنها أمسكت بي •••

ـ سلوى •• أنت لست مجنونة لكن هناك من يهمهم الصاق هذه الصفة بك •••

ـ كلهم يتجنبون أن يعطفوا علي •••

ـ انه عطف من نوع خاص ••عطف من نوع آخر •• أحدهم فرضه على الجميع •• ومع مرور الزمنصدقوه حتى أبيك صدقه وكذلك أمك رغم انها تقف الى جانبك كانت تخشاك وتنعتك في فترات مجنونة ••

ـ اني أتذكر أول مرة نعت بها •• عندما خرجت من غرفتها عنوة حيث كنت أحاول وأنا في العاشرة كماأظن فك الحبل الملعون الملتف حول رقبة أخي الصغير •

ـ لقد اتهمك الجميع بأنك خنقتأخيك بسبب غيرتك منه لان الجميع يهتمون به •

ـ ولكن يا سيدتي •••

ـ أعلم •• لقد دخلت الغرفة فوجدت الحبل يطوق عنق أخيكوعندما لم يتجاوب مع حركاتك أخذت تفكينالحبل محاولة ايقاظه فاذا بوالدتك تدخل فجأة ويلحق بها الاخرين •

ـ أجل •••

ـ وبعدها أخذ الجميع ينعتونك بالمجنونة •••

ـ أجل •

ـ والآن تحققت مآربهم وبما انيأعرف انك لست مجنونة لذلك يجب علي مساعدتك •••

ـ اذا لماذا أبقيتني هنا كل هذهالمدة •• ؟

ـ خوفا على حياتك •••

وخرجت من باب صغير جانبيمن المدرسة وأخذتأتجول في الشوارع حتى وصلت الدار وهناك وجدتهامهجورة وأخذت أبحث عن منفذ أدخل منه اليها • ودخلت •• أخذت أتجولفي ردهات الدار وأشعل الانوار حتى

أصبح البيت قطعــة من نور ويقرع الباب الخارجي ٠ كان الحارس الليلى الذى اعتاد المرابطة أمام الدار أثناء نوبته ٠ وتجلجــل من الخوف عندما شاهدنى ٠ لكنى قابلته بابتســامة رقيقة ودســست فى يده قطعة من النقود وأنا أقول ٠٠٠

ــ لا تدع أحد الى الدار حتى تخبرنى ٠٠٠

كانت الصور تجرى أمامى وأخذت ألاحقها أبحث فى الغرف المشعة بالانوار عن شىء بينما أصوات فرامل الســيارات المسرعة التى تقف أمام الباب تصــك أذنى ٠ تدفعنى الى الجرى ٠ كنت أبحث عن شىء لا أعرفه وتصلبت أمام غرفة استعصت على لا أذكر لمن كانت ولكن الباب فتح ٠٠ كانت الجدران ملطخة بالصور وبالمناظر الجميلة وقد عــلاها التراب ٠ أخذت أجول أتفحص ٠٠ اللعب المتناثرة لقد كانت غرفة أخى الصــغير الذى كنت سبب موته وشاهدت السرير المتحرك المشدود بالحبل (لان والدتى كانت تهزه بواسطته أثناء انشغال الخدامة) ٠ وأخذت الحبل بيدى هازة السرير محاولة تذكرة صورة أخى لقد بدت تلك الصور الموضوعة فى براويز حول السرير غريبة ولم أعرها انتباهى ٠٠٠

وتذكرت شيئا وأنا أتأمل صورة عمى أحمد أصغر أشقاء أبى فاطلقت الحبل من يدى ٠٠٠ وأخذتها بين يدى وأنا أستغرب وجودها فى ذلك المكان ٠ ورن جرس سيارة الشرطة فأسرعت والصورة بين يدى خارجة من الغرفة وهبطت الدرج ثم شرعت الباب على مصراعيه داعية الجميــع الى الدخول وأخذت أتأمل الجميع المذهولين وشــاهدتها مبتسمة وتقدمت وهى تمد لى يدها ملقية تحية المســاء وأجبتها باحناءة من رأسى ٠ ثم دعت الجميع الى الدخول ٠

كان أعمامى الثلاثة وعماتى وكل المستفيدين من وفاة أبى بالاضافة الى رجال الشرطة ومديرة المدرســة التى هربت منهــا وأخذتنى المشرفة جانبا وأخبرتها بما قمت به ثم قدمت لها الصورة فتأملتها وأخذت تجيل نظرها فى الجالسين ٠ وعندما وصلت اليه دفعتها بكتفى فتوقفت أمامه واقتربت من ضابط الشرطة ٠

ــ ماذا هناك يا سيدى ٠٠ ؟

ــ لا أدرى لقد اتصل بى أحدهم ٠٠ ادعى أن هنــاك لصوص بدار المرحوم محمود ٠

ـ اذن لماذا جلست ٠٠ ؟

ونهض الضابط مرتبكا ٠ فأخذته جانبا وتحدثت معه قليلاوعندما انتهيت اتخذ طريقه الى الباب الخارجى وهويشير لمرافقيه ونهض العم أحمد ٠٠

ـ سيدى ٠٠ ؟

ـ وماذا تريد ٠٠ لقد اثرنا المشاكل لسيدة الدار ٠٠

ـ ولكن ٠٠ ؟

ـ أعلم ما تريد قوله لكن ما دامت المشرفة والتى تعـرف كل شىء شرحت الامر فلا داعى للبقاء ٠٠٠

وخرج الضـابط ومرافقوه ودبت الحركة فى الدار المهجورة اما أنا فقد أخذتنى المشرفة والمديرة جانبا وسألتنى المديرة عن سبب هروبى واحترت فى الاجابة لـكن المشرفة شرحت الموقف وتحول غضب المديرة اليها ووعدت بمجازاتها وهى خارجة والتف أعمامى حولى بينما اختفت النسـوة ورن الصمت علينا ٠٠

ـ سلوى تعبة يجب أن ترتاح ٠٠٠

تخلصنا منهم وأخذتنى الى غرفتى وأخذنا نتحدث كانت معرفة كل شىء عن الدار ٠٠٠ دخلنا غرفة أخى لنبحث فى الزوايا والادراج عن شىء وانتقلنا الى غرفة أمى نبحث بالادراج والخزائن ووجدنا « دوسيه » احتوت وصفات طبية كتبها طبيب الاسرة كما عثرنا على دفتر به بعض الملاحظات وخرجنا من الغرفة لنفاجأ بالعم أحمـد يتلصص ٠ حيث تصلب فى مـكانه ومررنا به فى هدوء ـ مجرمة ـ هكذا كنت لكنى فى نظر أقربائى مجنونة ٠ ولهذا لم يحدثنى أحد عند الصباح ولم يشاركنى مائدة الافطـار سوى المشرفة ومديرة المدرسة التى وصلت مبكرة ٠ وأخذت أتجول مع الاثنتين فى حديقة الدار ولما عدنا كان الجميع فى غرفة الجلوس وطلبـت المشرفة الشرطة التى حضرت وقدمنا للضابط الملف الذى وجدناه فى غرفة والدتى ثم طالبته بفك الحجـز على الدار والمصنع وتسليم كل شىء لى ٠ واحتج الحضور وأخذت الكلمات تعلو بينما أخذ يقلب الملف ٠٠٠

ـ انها مجنونة وقاتلة ٠٠٠

ورفع رأسه باحثا عن صاحب الصـوت ٠ ولكن ران الصـمت على

الجميــــع ونهض الى التلفون وطلب الدكتور وهو يتأمل الجميع وحضر الطبيب فأخذه جانبا واطلعه على الاوراق ٠٠

ـ وكيف مات الصغير ٠٠ ؟

ـ كما أظن طبيعيا ٠٠

ـ ولكن أين الشهادة ٠٠ ؟

ـ هذه ٠٠٠

وتأمل الشرطي الشهادة ثم اطلع الدكتور على جملة وضع تحتها خط (لقد قتلت أخيها انها مجنونة ٠٠ولولا مســـــاعدة الطبيب لكانت فضيحة) ٠

ـ ما رأيك فى هذه الكلمات ٠٠ ؟

ـ لا أدرى ٠٠ ولولا انى احتفظ بسجل للاسرة لكنت صدقت هذا ٠

ـ هل كان الطفل مريضـــا ٠٠مرض الموت ٠٠ ؟

ـ تقريبا ٠٠٠

ـ ومن كان يشرف على علاجه ؟

ـ أحمد كما أذكر ٠٠ لان المرحوم كان مشغولا فى سفرياته ومشروعه الجديد ٠

ـ المصنع ٠٠ ؟

ـ أجل ٠

ـ وسلوى هل تذكر عنها شيئا ٠٠ ؟

ـ أبدا ٠٠٠

ـ ألا تعرف دوافع ادخالها مدرسة داخلية ٠٠ ثم عدم مشاركتها فى دفن والدها ؟

ـ قيل لى انها اعتذرت ٠٠٠

وتلفت حولى أبحث عن شىء أنهى به هذا الحديث واقتربت ٠٠٠

ـ ألم يقولوا لك انى مجنونة ٠٠ ؟

ـ كنت أسمع شيئا من هذا لكننى لا أهتم ٠٠٠

ـ لمـاذا ٠٠ ؟

ـ لانها بعيدة ٠٠٠

وأخرج الضابط صورة عمى أحمدالقديمة من تحت الملف ٠

ـ هل تعرف صاحب هذه الصورة ٠٠ ؟

ـ أجل ٠٠٠

ـ شـــكرا ٠٠٠

واقترب العم أحمـد وجلس على المقعد الذى غادره الطبيب ٠٠

ـ سيد أحمد ابنة أخيك « سلوى » تطالب بتسليم مخلفات والدها ولكن هناك اعتراضا منك ٠٠ وتدعى انها مجنونة وما هو ملموس نرى ان ذلك كذبا ٠ وهناك دوافع لذلك فماهو سبب معارضتك ٠٠ ؟

ـ لا شيء ٠٠ ولكن حرصـا على المصلحة العامة ٠

ـ اذن لا اعتراض ٠٠ ؟

ـ أنا لا أعترض ٠٠ ولكن لو قابلت الاخرين لوجدتهم يؤيدون فكرتى وان ما قلت حقيقة ولا مصلحة لى فيماذهبت اليه ٠٠٠

ـ وما هى علاقتك بوالدة سلوى الحقيقية ٠٠ ؟

وجحظت عينا العم أحمد عند سماعه لهذا السؤال ٠ وأخذ يرتعش عندما لوح الشرطى بدفتر مذكرات والدتى ٠وطال الحديث وحضر آخرون تلاشى فيه اصرارهم وادعاؤهم انى مجنونة ٠٠٠وتسلمت كل شيء وخرجت الصحف تحمل نبأ دخولى المجتمع وتلقفتنى الاضواء ٠ وأخذت أبحث عن نفسى بعد كل هذا ولكن وجدت اني منبوذة٠لقد طغت تلك المرحلة المترسـبة فى أعمـــاقى أخيرا وشعرت بأن على ان أنزوى ٠ لقد وجدت أخيرا البريق ولكن بصورة جديدة كان بريق الحقدالذى يطل من مقل من حولى حتى من المشرفة التى وجدت ان دورها انتهى بانتصارى ٠ ونسيت فى لحظة انبهارى فضلها فتلاشيت فى الزحام ٠٠٠

الأقزام تنتحر

السـاعة السادسة مساءا وقد هدأ كل شيء ولم يبق أمام الخندق وأكوام التراب سوي الاطفال يلعبون ويتسابقون على صعود التراب والنف حول (الدركتور) والقاء الحجارة الصغيرةفى الخندق الندى الذى احتقن الماء فى بعض جوانبه .. وفجأة علا صراخ الصبية ...

ـ عنزه سقطت فى الخندق .. !

ـ أين .. ؟

وأشار صبى الى الماء المحتقن فى الخنـدق حيث كانت بعض الدوائر والفقاعات تطفو على السـطح ولم يشاهد المجتمعون شيئا يؤكد صدق الصبى الذى راح يردد ان عنزه صغيرة سقطت فى المـاء فعادوا للتفرق والجرى . بينما بقى الصبي الذي شاهد العنزة يتأمل سطح المـاء ومر الوقت وهو واقف وحل الظلام فغادر مكانه . بزغ القمر اذ كانت هذه الليلة من ليالى منتصف الشهر ولا شيء فى الشارع سوى الخندق العميق الممتد على طول الطريق وأكوام التـراب المزروعة على الجانبين «والدركتور» على رأس الخندق فى صمت وقوة كقائد فرقة صمم على الاسـتمرار والمضى قدما . وخرج « محمد » من الدار حيث سمع صوتا فى الشارع ولكن لا أحد هناك . وأطلت « بدرية » برأسها من نافذة غرفتها ثم اختفت بسرعة فقفل عائدا الى مقعده أمام التلفزيون .

ـ من هناك .. ؟

ـ لا أحد ...

ـ ولكن لماذا نهضت من مكانك .. ؟

ـ لقد سمعت جلبة فى الشارع ...

لم يستمر الحديث طويلا ونهضت « منى » من مكانها ودخلت المطبخ لاعداد فنجان من القهوة . تململت فى اعداده حيث حاولت دفعه على مساعدتها فى استذكار دروسها خاصـة وان الاختبار لم يتبقى عليه سوى يومين فقط .

عاد الضجيج الى الشارع مجدداً فقد أخذ عمال الحفر يعملون بهمة ونشاط وأخذ (الدركتور) يكمل مسيرته نحو اكمال شق الشارع بينما البنات والاولاد وهم فى طريقهم الى مدارسهم يتوقفون قليلا لتأمل ما يدور ثم يواصلون سيرهم • يوم جديد من العمل عليه افاق « محمد » على غير العادة وخرج لاخذ الفطور • كل شيء عادى انها الحركة التى بدأت منذ الشهر نفس العمال ونفس العمل الدائب « والدركتور » الذى يجرح الارض • والاطفال الواقفون على أبواب المنازل لمتابعة العمل والفكرة التى أخذت تترسب فى الاعماق عن القوة•• قوة الاقزام الذين يقفون حول « الدركتور » كل يوم متأملين ما تقوم به هذه الالة من عمل جبار غير مبالية بما حولها والتى لم تصل الى شيء رغم المحاولات التى أقلقت راحته حتى انه أخذ يقفل الباب بالمفتاح خشية أن يصيب طفلته مكروه عند ذهابه الى العمل فى الصباح •

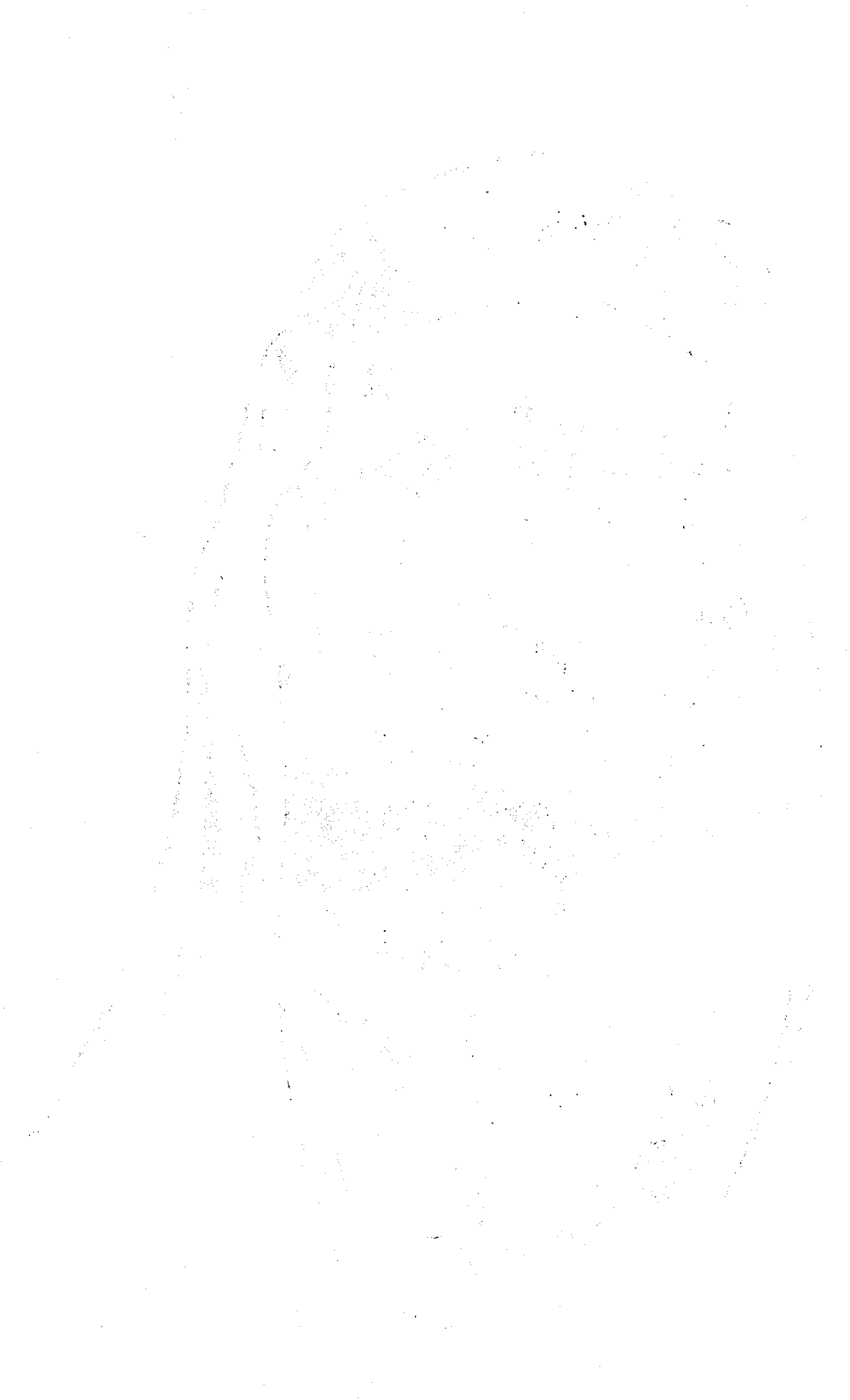
عاد المتفرجون للتكوم ومتابعة «الدركتور » فى غدوه وايابه اذا أغلقت المدارس والدوائر الحكومية أبوابها وجلس أصحاب المنازل المطلة على المشروع يقفون فى نوافذ منازلهم وعلى الابواب بعد أن نزعهم الضجيج من الفراش ولحظة القيلولة •• وارتفع صوت الصبى •••

ـ هذه العنزة •• هذه العنزة ••

وأسرع الجميع اليه لقد كان صبى البارحة الذى شاهد سقوط العنزة فى الخندق وأخذوا يتأملون الرأس الصغير الذى طفى فوق سطح الماء •••

●●●





عين من دم

(جرحنا صار أوسمة) وفجـــأة ينغزر الخنجر المتسلل من الشباك فى ظهر الام البائسة التى سحبها القــدر بطريقة عفوية لتنام فى فراش زوجها المهدد بالموت •

وأنسى كل شىء ويد صديقى تهز كتفى ••

ــ شوف كيف المجرم قتل أم شلبى

وانا عندك بين عينيك التى أجهل الان لونها • وجسمك الاصفر الناحل وغرتك الشقية تثير هواجسى • لم أكن أعرف شيئا بعـــد • أعيش على كتاب المدرسة أتغذى وأفطر به وطرف المسطرة ينصلت فى قسوة على قفــا يدى • لانى لم أحل الحســـاب ولم أحفظ جدول الضرب • لانى سهرت بين عينيك ويدك الصغيرة حركاتها •• تجذبنى وانت تتحــدين على الكيرم حماتك نايلة ••

أنا الان قد تعديت العشرين شاربى يقف عليه الصقر وذقنى شــائكة • أما صوتى فما زال هو •• هـــو لم يتغير •• غير انى زدت تحولا ولم أعد ذلك الولد الذى يرتدى الاسمال فلا يؤثر فيه منظرك المغـــرى • وانت تتناولين فطورك المتأخــر فى غرفتك وقد تبعثر شعرك وضاعت الخصلــة الشقية • أو وأنت تمزحين مع ؟! •• وتصارعين شقيقاته • كل هذا عاد الى مخيلتى الليلة • كنا ثلاثة انت •• وفاتن •• وأنا • نســير فى الطريق المظلم الذى يوصل الى دار أخيك وقد أزحت ــ الحجاب ــ عن وجهك وتعلقتى بكتفى كعجوز أكلت ظهرها السنين • وفاتن تقهقه وهى تتلفت حذرة من أن يلحق بنا أحد • وانت متمادية فى تمثيلك لاهية عن كل شىء حتى عن ذاتك تفكرين فى ذلك العهد البعيـد الذى لم تحفظى عهـدك معه • ورغم دموعك لبست ثوب الزفاف الابيض والجميع يظنونها دموع الفرح •

انه هنا وصل اليوم الى الطائف فى مهمة رسمية والليلة حفل عشــاء يقيمه أخوك على شرفه وأنت مرتبكة تأخرت حتى لا يشعر أحد بارتباكك • فأثرتى حيرتى • وخوف فاتن من أن يطل أخيها فيثيره منظرنا المريب ولم تتبقى غير خطوات حتى عدتى للحقيقة لكن كان فيك شىء جديد انت مصفرة

وقد فضح ذلك عامود النوز بينمـــافاتن ملتهية فى اعادة حجابهـــا ..
وتصلبت نظراتى عليك تسألك هل أنت محمومة ؟ وهزك اكتشافى ذلك .
ولم أقل شيئا وعدنا لواقعنـــا كان صوت العـــود الذى يداعب أوتاره
أخيك يصل الى الشارع كتواشـــيح ملائكة وتوقفنا كى نغترف من اللحن
الهادىء فى وحدتنا وانطلاقنا وأيدينا متشابكة نحن الثلاثة مكونين حلقـــة
عجيبة وســمعنا وقع أقدام تقترب من الباب فتركنا بعض لاقرع الباب
وابتلعنا المســكن انتم الى الغـــرف الداخلية وأنا الى المجلس الخـــاص
بالرجال ..

وفجأة ينغرز الخنجـــر وتنطلق سيارة شحن مسرعـة تدفعنى الى أن
التصق بجارى من الخوف واصواتكم تصلنا لقد كانت بينكم واحدة خائفة
من السيارة المسرعة لست وحيـــدا فأخذت أضحك من حولى. من طفولتى
التى أخذت أودعها . ويدى فى حضن الشقية التى كل صباح تضرب شقيقتى
عندما تلتقى بها على طريق المدرسة ــ تلك اللاجئة الشقراء ــ التى يطـــير
فستانها القصير الهواء فيظهر قفــاها وسروالها الصغير كانت تغض كتفى
فى عفرته وطفولة ..

كنت انساها عندما أراك منتصبة أمامى وفى يديك الحبـوب العشرين
ولوحة الخشب المركونة على الجـدار تنتظرنا . ونتحدى فاتن واللاجئـــة
لكن الاخيرة تقرصنى فى فخذى بقسوة كلما يأتى دورى فى اللعب . وأقاوم
وأنا أرى بحرى يتلاطم والزوابع تثير صفوه تهم بأن تبتلع زورقى الصغير
لكن نفوز ليس كالعادة بتفوق انمــا بعد محاولة يائســة ويدى ترتعش .
وأنا اتطلع الى اللاجئة بعين ذاويه فاذا بها تغلى وقطرات الدم فى عينيها ..
تخضب يدى باللون القانى وبكاء مرونشيج يقطع صدرى يلون وجه اختى
الصغيرة وهى ترجـــو والدتى بأن لا تدعها تذهب الى المدرسة مرة ثانية
.. انه انت وقد ذهبت فاتن مـــع زوجها بعد أن يئست من أخى . ونحن
غيرنا دارنا القديمة بمنزل بعيـــد .واللاجئة أصبحت ترتدى العباءة وهى
تسير لوحدها فى طريقنا القـــديم .وزوجك باع منزله . وأخيك سافر الى
جده بعد أن نجح فى دنيا الغناء فغدا مرموقا . وأولاد حينا أصبحوا رجالا
يلاحقون بنات المـــدارس .. تمرين الان بى وبين ضجيج صالة الســـينما

والخان الذى يدفعنى الى السعال ـ فى منامتك الحمراء ـ والسيارة ما زالت منطلقة والبطل يطـرد من البوليس وأم شـلبى تخرج من المستشفى • تتقدمين نحوى وفى يدك خنجر وافغر فمى فى بلاهـة ويدك ترتفع وعينيك تقدح شرار الجريمة • وغيمة حمراء تمر بى فلا اشاهد شيئا لكن بريقا يلفت انتباهى عند قـدمى انه الخنجر ويدك ما زالت مرتفعـة وعينيك متحجرة وقد فقدت لونهـا وجسمك الصغير تبتلعه الارض •• وعينان من دم •• أمامى فتاة شقراء شعثاء الشعر •• وفستان قصير يلعب به الهواء •• ووجه صامت انى أعرفه لكن لا تسعفنى الذاكرة فقد تملكنى الوهم والخوف •

●●●



الطموح

الحطام يملأ المكان . أخشاب مبعثرة وبراويز صور محطمة .وعلب صفيح فارغة أو محشوة بأوراق الصحف والمجلات . كل شيء يدل على أن هذه الحالة لها تاريخ طويل لا يستطيع المتعمق من الزائرين تحديده أو الاقتراب منه حتى سليمان ذاته لايذكر متى اشترى هذه الدار الخربة أو متى قرر السكنى فيها وان كان يحتفظ بأوراق ايصالات الكهرباء وانذارات البلدية بشأن البالوعة وشيء اخر أوراق اشتراك التليفون الجديد .

كان سليمان يقدم الدوسيه التي تحتوى كل هذا لكل سائل عن تاريخ شرائه للدار وذات يوم وعلى غير العادة وقفت سيارة نقل صغيرة أمام باب الدار وحملها مجموعة من العمال بالحطام الذى يملأ المكان ولم يكف رد واحد بل ثان وثالث ورابع حتى ظهر بلاط الغرف وتراب الحوش ولم يبق سوى الفراش الذى ينام عليه وجهاز التليفون ودوسيه الايصالات .

ركب بالقرب من السائق وفى الحراج تم تكويم الجميع وبيعهم وعاد يصفق بيديه يتلفت حوله وان كان الغبار يلفه وفى هدوء دخل الدار ووقف أمام المراة القديمة المزروعة فوق المغسلة بالقرب من باب الحمام وتأمل نفسه قليلا ثم فتح أصنبورو أخذ فى غسل وجهه وقدميه ورأسه وحدق مرة أخرى فى المراة ثم هز رأسه غير مقتنع ودخل الحمام ثم خرج منه ووضع غترته على كتفه وخرج من الدار لا يلوى على شيء .

لقد قرر أن يستحم فى الحمام العمومي ومر على السوق وأخذ ملابس جديدة .. خرج من الحمام شخصية جديدة فشعر بالارتياح وهمهم وهو يتلفت ..

ـ لقد أزف الوقت ..

وفى اتجاه سيره خلف الدار وراءه وأسرع فى خطاه . كان فى كل لحظة يتأمل معصمه رغم أنه لا يقتنى ساعة ولم يفكر فى ذلك يوما حتى بعد أن أصبح وحيدا . بعد أن نزح الى المدينة مخلفا رفاقه فى العمل بقريتهم التى جمعتهم الصدف بها من أول يوم لهم فى أعمال الوظيفة لم يبال برجائهم ولم يهتم لضحكهم عليه كان كل شيء يسير حسب مخطط رسمه فى رأسه

وأخذ يرحب بكل عمل يوكل اليه في أوقات الفراغ حتى اشـــترى الدار واحتلت كل تفكيره فلم يعـــد لديه متسع من الوقت يقضيه خارجهـــا وأخذ يأتى بكل شيء يعترض طريقـه كان كثير التلفت ـ عله يصـــادف شيئا يستفاد منه واحتلت الخـــردة كل زوايا الدار التى أصبحت نظيفة الان ..

أخذ يتأمل صورته فى واجهـــات المحلات التجارية ودلف الى شـــارع فرعي وأخذ يعد الابواب واحـــد ..اثنين .. ثلاثة وعاد من جديد يعـــد لقد نسى رقم الباب المطلوب فلم يجد بدا من الوقوف فى وسط الشـــارع والمناداة وخرج أحدهم ..

ـ مساء الخير العم محمد فيه ..؟

ـ أى محمد ..؟

ـ محمد أبو شوادى ..

ـ آسف ما فيه أحـــد فى الزقاق بهذا الاسم ..

ـ ولكن هذا هو الوصل ..

ـ لقد تذكرت كان عندنا واحـــد بهذا الاسم لكن رحل ..

ـ من قريب ؟

ـ منذ سنة .

وأغلق الرجل الباب بينمـــا وقف سليمان مطرقا وأخذ يجرجر خطـــاه بعد أن ألقى نظرة سريعة على الابواب(ولكن كيف لقد اجتمعنا وعقـــدنا الاتفاق وانتهى كل شيء اتزوج ابنته ونسكن معا فى الدار .. مهر رمزى) وعاد أدراجه الى الشارع وقرع البابالاول والثانى والثالث ولكن لا أحد يرد .

لقد انهار كل شيء . ولمح شخصا يسير أمامه قفز له قلبه (انه هـــو) فمد خطاه . كان الرجل يسير بسرعة وبشكل غريب وانقطعت أنفاسه وفى النفس الاخير أمسك بالرجـــــل من الخلف وتشبث به حتى لا يقـــع . والتفت الرجل وفوجىء سليمان لقد كان الوجه غريبا وصارما فـــذابت قبضته ..

النجوم تقدم العزاء

الانوار تملأ الشارع والجدران والنوافذ المشرعة تغص بالاطفال والنساء يتفرجن على العرضه . الكل يرقص والطبول تصم الاذان والسيارات تملا الساحة . ويمر الليل سريعا ويزف عبد الله فى كوشه لفتت الانتباه بوجاهتها وغناها كان الارتباك على محياه والقلق يدب فى أوصاله ولا شيء يعمل فى داخله . لقد شله ما يدور حوله جلس على كرسى النصه وأخذت الراقصات يتبارين فى الابداع كل فتاة تحاول أن تقضى أطول وقت ممكن للتثنى أمام العريس .

ورغم ذلك لا أذكر تلك الوجوه الان أجل لقد أخذت بيد عروسى وخرجنا والزغاريد تلاحقنا حتى فى السيارة التى نقلتنا الى منزل الزوجية كانت تزغرد هى والسيارات التى تلاحقنا . وران الهدوء شعرت بالاطمئنان فأخذت مريم بين يدى أتأملها لقد كانت رفيقة طفولتى ومرحلة صباى وانتقلنا الى العاصمة أما هى فقد بقيت مع أسرتها فى الطائف . أجل كل شيء فيها كان كما أذكر الان تأكدت رغم اننى التقيت بها كثيرا أيام الخطوبة التى قررنا فيها كل شيء .

حدث عبد الله أصدقاءه عن زواجه وزوجته وأسرتها وكيف سارت الامور وكيف قضى الليلة الاولى كان حديثه يثير الانتباه رغم أن مقصده يظهر مقدار غنى والده الذى تكفل بكل شيء فى الزواج هدية منه لابنه المحبوب الذى لا يريد منه سوى أن يكون مساعده فى ادارة الشركة بدلا من التجوال فى أزقة وشوارع المدينة مع أصدقاء السوء وقضاء الوقت فى أشياء لا تفيد .

لم يخيب رجاء أبيه وان كان يختلس بعض الوقت لزيارة أصدقائه مدعيا ايصال زوجته الى المدرسة حيث أنها قررت مواصلة الدراسة .

ـ اينك يا شيخ .. لك زمان ماشفناك ..؟

ـ ابدا الاهل تعبانين ..

ـ خير ..

ـ الوالدة فى المستشفى وزوجتى تم اجهاضها .. لقد فوجئنا بحملها ولرغبتنا فى أن نعيش فى سعادة قبل دوشة الاولاد وحتى تكمل دراستها قررنا الاجهاض .

ـ ...

ـ الموضوع .. سعادتنا وهروبنا من المشاكل التى قد ترتبت على ذلك ولم يقل شيئا جديدا . مرت السنين تغير فيها كثيرا أصبح حريصا على العمل وان يقوم بما هو مطلوب منه . دفن نفسه فى أعمال الشركة هنا وهناك بعد أن الت اليه والى شقيقه أنه يريد ولدا ، ترسبت هذه الفكرة فى أعماقه حتى الهوس أما زوجته فلم يعد لديها شيئا تعطيه رغم كل التحاليل التى تفيد بأنهما قابلان للانجاب .

وقرر المغامرة بالزواج مرة ثانية الذى أغضب مريم فعادت الى دار والدها منتظرة ما يطرأ وفشل كل شىء لم تنجب الزوجة الثانية والثالثة والرابعة .

فعاد عبد الله الى أصدقائه يبحث معهم عن من يدله الى الطريق الحقيقى والتقى بها فى احدى الشركات جميلة كانت تقف أمام باب احد المطاعم التى ولجها مع بعض رفاقه مع شلة من زملائها وزميلاتها طيعة ولينة سرعان ما غدت صديقة تواسيه فى مصابه وتنمى أحلامه .

وطلب يدها ولكن ردته مدعية أنها متزوجة وزوجها يعمل فى المكتب الرئيسى للشركة .

ـ عبد الله .. اننى حامل .. ـ ماذا ..

باحت بالسر الخطير وهى تهم بمغادرة السيارة بعد جولة طويلة استغرقت كل ما لديهم من حديث .

ـ سوف أطلب أجازة .. حتى أعود الى البلاد واضع ..

ـ وأنا ..

ـ ماذا هناك لا شىء .. لقد كانت لحظات سعيدة هى التى قضيتها معك وغابت عن أنظاره مدة عادت بعدها الى العمل فى شركتها وأهملت الاتصال به وأخذت تتجاهل استفساره عنها .

ـ أين ولدك ..؟

ـ لقد اجهضت .. ومع ذلك ..

ـ مع ذلك .. ماذا ..

ـ وصل الامر الى زوجي فطلقني .

وشدها بقوة . أخذ يتأمل عينيها بشيء من الخوف والامل كان في داخله أكثر من سؤال .

ـ هل تتزوجيني ..

وأطرقت قليلا ثم تأملته برهة ..

ـ دعني أفكر ..

تزوج عبد الله فاطمة لم يكن يدري انها تخدعه وطال انتظاره للمولد وشعر بالسأم الذي بدى أثره واضحا على محياه وعلى تصرفاته فقرر أخذ أجازة طويلة من أعمال الشركة والرحيل الى خارج البلاد لعله يجد ما ينقذه من همومه وأخذها معه .

ـ لقد كانت ملعونة .. كانت تسرقني ..

ـ وكيف ..

ـ لقد خدعتني كانت كاذبة لم تكن متزوجة .. ولم تحمل مني أبدا لقد اكتشفت هذا عندما قررنا العودة ..كانت تطالبني بالبقاء خارج البلاد ولم أجد بدا من تطليقها .. ولكن أخذت مني تعويضا ضخما أمن لها حياتها وفي الطائرة وانا افتش حقيبة الاوراق وجدت رسالة منها اخبرتني فيها بكل شيء وانها عملت كل هذا الصالحي ..

ـ والان ..

ـ قررت الاستسلام للواقع والعودة الى .. مريم

وخرج من دار صديقه متأخرا كالعادة بعد أن أفرغ ما في جعبته من أقوال وانطلق بسيارته يسابق متجها الى الصحراء كانت السماء صافية والنجوم تتلألأ رغم انها ليلة شتاء قارس بينما الراديو ينقل أغنية جديدة

اللعبة الأخيرة

الطريق طويل اكتشف محمد هذااليوم وهو يقطع شارع الملك المسفلت وهو فى طريقه الى مقر عمـــله فىالساعة الثامنة صباحا كل شيء حوله ساكن رغم حرارة شـــمس الصيفالتى تلذع ظهره بأشعتها ٠

منذ سبع سنوات وهو يقطع هذاالطريق على قدميهلم يحاول أن يختار غيره أو يحيد عنه ٠ وكالعــادة كانتأفكاره تدور فيما حوله متأملا السماء والارض الفراغ التىتحيط به وأشباحالمارة والسيارات التى تمر به أشياء كثيرة لا يدرى متى بدأ يفكر بها لكنهاكانت حقيقية فى احاسيسه وامنياته كانت أعمق منه جذورا واصل منبتاأما هو ذاته فكان لا يدرى شيئا واذا أعيته الحيل هز كتفيه ثم تلفت حولهوقطع أفكاره بمد خطاه ومحاولتــه سابقة من حوله من بشر وسيارات وتأمله باصرار للنوافذ والابواب التى حولـــه ٠

يوم شبيه بالايام الاخرى وصــلفيه الى مكتبه ووقع فى دفتر الحضور ثم جلس خلف مكتبه الخــاوى منالاوراق يتأمل فنجان الشـــاى الذى وضعه الفراش أمامه بشيء من الهدوءوالتأمل محاولا ان يفلسف وجود هذا الفنجان أمامه وأعيته الكلمات فمــديده اليه وارتشف رشفة صغيرة وصل صداها الى أعماق أعماقه ٠٠ أعــادالفنجان الى مكانه وأخــذ يبحث فى أدراج مكتبه عن علبة دبابيس لقــدتذكر الان ان أحد اصدقائه طلب منه سرقة علبة دبابيس من المكتب لحاجته اليهـــا ٠

سرت ابتسامة صغيرة على محيـــامحمد وهو يتذكر علبة الدبابيس قطع عليه ابتسامته الفراش الذى ما آن لمحفنجان الشاى فارغا على المكتب حتى انتصب فجأة بكل قسوة وأخذ يسكبالشـــاى من الابريق دون آن ينبس بكلمـــة ٠

ــ انه يريد علبة دبابيس ٠٠ أجل يريد علبة لكن من أين ؟ ولا يوجــد فى المكتب كله سوى نصف علبه ٠٠

توقف عند هذه الكلمات وأخــذينصت للحديث الدائر بين زميله فى المكتب والمراجعين رغم انه لا يستطيع شيئا ويحب الاخذ والعطاء معهموتو نيق

عرى الصداقة • كانت الصداقة هي كل شيء يفتقده هذا الموظف • وصل الى هذه النتيجة وقرر أن يقول شيئا لكن الحديث انتهى وعاد الصمت فران على المكتب من جديد •

ـ محمد •• العب ••

ـ ولكن •• لماذا لم تنزل انت ورقتك ••

ـ ما فيه مانع ••

ـ بلى حتى أعرف هل دقيت بالحكم أم •• لا ••؟

وسرح مع لعبة البلوت • أجل كل يوم يلعب لكن أمس كان يوما جهنمي كل شيء فيه مثير حتى اللاعبين كانوا جهنميون لا شيء أمامهم غير التحدى والفوز وليكن ما يكون •

فهد يمد يده في كل مرة نحو الورق للعبث به وجمع الاكك والعشرات ان كان التوزيع عنده أو عند غيره غير مبالى بما في ذلك من اثر سيء لقد كان محمد يغلي معها فلم يعرف كيف يلعب وانقلب مرة أخرى •

ـ أبى •• أمى تبغاك ••

ـ مانى فاضى •• روح خذ العشا •

ـ لقد شبت النار ••

ـ اذن روح وأنا الحق بك ••

كان هذا رد فهد الاخير على الطفل الذى سمع الكلام وخرج من المجلس وتأمل الجالسين فهد الذى انتهى دوره وأخذ يتفرج على اللعب ••

ـ أبى •• أمى تبغاك •

عاد الطفل من جديد يرجو أباه أن أن يحضر وطرده فهد غير مبال برجاء الجالسين أن يذهب لتحرى الامر ثم يعود علل ذلك بأشياء تافهة لم يجد من حوله معها سوى الصمت وترك الامور تسير على عواهنها •

هدأ التحدى وارتسمت الابتسامة على محيا محمد الذى أخذ يلعب فى هدوء للتسلية كما كان يقول الجميع عند زيارتهم له وقضاء الوقت فى لعب الورق فى منزله لا شيء يحدوه من وراء ذلك غير الترفيه عن النفس وملء الفراغ الذى يعيشه بعد أن سئم التجوال فى الشوارع والجلوس في المقاهى • وطلق القراءة التى أخذ يشعر بثقلها وزهقه منها بسبب

اقتناعه بأنه لا يوجد فى المكتبة مايقرأ،صل الى أسماع اللاعبين صـــوت موسيقى انه موعد أخبار الســاعةالتاسعة والنصفالتى اعتاد التلفزيون تقديمها فأخذوا فى التململ وقــدأوشكت الجولة على النهــاية وما أن بدأ المذيع يقدم الاخبــار حتى نهضأول اللاعبين مســتأذنا ولحق به الاخرون ..

ـ ولكن يا جماعة اللعبة الاخيرة ..

ـ خلاص راح الوقت ..

وخرج الجميع من المنزل ووقفـواأمام الباب يمزحون متخذين مننتيجة اللعبة تعليقا فكها على المغلوبين .

ومن خلال العتمة أقبل الطفـــلالصغير فأخذ يتأمل الوجوه حتى عرف أباه وأمسك به ..

ـ أبى . أبى ... أمى ماتت ..

ـ ماذا .. ؟

صرخ الجميـــع . وأسرع فهد الىداره بينما تبعه الاخرون بأنظــارهم دهشين ولم يلحق الطفل بأبيه الذىأخذ يعدو وغاب لحظات ثم عاد لاهثا .

ـ لقد عاد لها النزيف .. واغمىعليها .

وأسرع الى الطريق العام يبحث عنسيارة أجرة وعاد يركض والسـيارة تسير الهوينا خلفه وخرج من الداريحمل بين ذراعيه أمرأة متكومة ..

ـ مجنون ..

ـ أجل مجنون لعب .! ونحن زودناجنانه ..!

وتفرق الجميع بينما بقى محمـــدلوحده أمام باب الدار يتأمل السماء وقد ران الصمت حوله الا من عـواءبعض الكلاب القادمة من بعيد أخـــذ يقرع اذنه كانت لحظة تأمل . وجدمعها فى الصباح أن الطريق الذى أخذ يجتازه منذ سبع سنوات طـــويلومرهق ..



فهرست

الصفحة

الصفحة	العنوان
٧	المنحوسة وتذكرة سفر الى القدس
١١	الأخوات الثلاث
١٧	انه ولد
٢١	نوره
٢٥	الهندية
٣٣	أوراق من مذكرات فتاة فلسطينية
٣٩	المرسوم
٤٣	حلم
٤٥	وارتفع الصخب
٤٩	الحنين واللحظات المفاجئة
٥١	المفترق العاق
٥٥	عندما فات الوقت
٥٩	ذات يوم
٦٥	نقطة اليأس
٦٩	البحث عن ابتسامة
٧٧	الأقزام تنتحر
٨١	عين من دم
٨٥	الطموح
٨٧	النجوم تقدم العزاء
٩١	اللعبة الأخيرة

